العقيدة الإسلامية

الطبعة الثانية
طبعة مزيدة ومنقحة
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٧٩/١/٢٠١١)

٢١٠
الفتياني، تيسير محجوب
العقيدة الإسلامية/ تيسير محجوب الفتياني.ـ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١١.
(٢٥٦) ص
ر.أ: ٧٩/١/٢٠١١.
الواصفات: الإسلام// الشريعة الإسلامية/

❖ **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.**

ISBN ٩٧٨-٩٩٥٧-٧٧-٠٦٤-٨ (ردمك)



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

العقيدة الإسلامية

إعداد الدكتور

تيسير محجوب الفتياني



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدي الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده فجزاه الله خير ما يجزي نبيا عن أمته، أما بعد:

فالعقيدة هي أساس بناء الأفراد والمجتمعات والدول، فإذا كانت سليمة كان سلوك الفرد يتناسب مع صلاح عقيدته وسلامة أفكاره وكذلك المجتمع والدولة، وفساد سلوكه يتناسب مع انحراف عقيدته وكذلك المجتمع والدولة، ولذلك اتجهت جهود الأنبياء المرسلين عليهم صلوات الله إلى إصلاح عقيدة الأفراد والمجتمعات والدول قبل كل شيء، وكانت العقيدة هي المحور الذي دارت حوله رسالاتهم، فكل الرسالات جاءت من أجل إحياء عقيدة التوحيد في النفوس، ومن يتدبر القرآن الكريم يجد مدى العناية الإلهية لهذه القضية الخطيرة حتى تتناسب مع الامتداد الزماني والمكاني لرسالة الإسلام كما يجد كيف أنه ناقش كل الشبهات التي كانت موجودة والتي يمكن أن تخطر على البال وطاردها مطاردة شديدة ودائبة منذ نزوله في مكة المكرمة واستمر هذا المنهج حتى بعد الهجرة إلى المدينة المنورة وإقامة الدولة واستقرار الأمة وبعد أن آمن الناس وقام مجتمع الإيمان، وذلك لتثبيت العقيدة في النفوس لتكون الأساس الذي تبنى عليه التكاليف الشرعية فجلى القرآن الكريم قضية التوحيد وقضية الشرك وبين أن الشرك ليس محصوراً في تقديم الشعائر لغير الله، ولكنه يشمل كذلك الحكم بغير ما أنزل الله، كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣] فعدم إتباع ما أنزل الله وإتباع الأولياء شرك، والشرك يشمل التحليل

والتحريم بغير إذن من الله، فالمحك الحقيقي لمدعي الإيمان هو التحاكم إلى شريعة الله، فالله وحده الذي تجب عبادته وطاعته، ليكون له وحده الحكم في كل أمر من الأمور ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، هذا ما ارتضاه الله لنا وأنعم به علينا، وهو منهج الحياة الصحيح الذي رسمه لنا، لنفوز بخيري الدنيا والآخرة، ولنكون محققين لشروط الخلافة التي خلقنا الله من أجلها، ولنقوم بعمارة الأرض على الوجه الذي أراده الله لنا في حدود العبادة له والتي هي غاية الوجود الإنساني.

وإذا قال قائل لماذا ننظر إلى ما حولنا في العالم الإسلامي فلا نكاد نجد أثر لهذا الدين؟

والجواب أننا لم نعمل جهدنا في فهم العقيدة الصحيحة ولم نحسن تطبيقها في واقع حياتنا، ولن نصل إلى ما وصل إليه سلفنا الصالح إلا إذا بذلنا جهدنا لتغيير ما بأنفسنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] وتلك سنة ربانية لا سبيل إلى تغييرها إلا بجهد نبذله وباتخاذ الأسباب المؤدية إلى تغيير أحوالنا، والعقيدة الصحيحة هي الدافع الأقوى لتحقيق هذا الغرض، فنحن بحاجة إلى أن نراجع موقفنا من ربنا ومن عقيدتنا التي ارتضاها لنا، ونحن بحاجة إلى أن نعود إلى التمسك بالعقيدة الصحيحة لنأخذ منها الدافع حتى نسير في الطريق الصحيح وعندها سينفذ الله وعده لهذه الأمة بالتمكين ولن يقف أحد في طريق وعده...

ولهذا كان هذا الموضوع المهم وكان هذا الكتاب خلاصة مستفادة لمجموع من كتب العقيدة المعتمدة قديماً وحديثاً وكتب التفسير والحديث ومؤلفات العلماء المعتمدين وإعادة صياغتها بأسلوب عصرى سهل وممتع ليكون أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم وليكون واضحاً جلياً لكل مسلم، وليستفيد منه المبتدئ وطالب العلم ولا يستغنى عنه الراغب في المزيد، فهو يتناسب مع الطالب والمدرس

والعالم والمتعلم وغيرهم، وحرصت أن لا يكون بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، وحاولت أن أسير على النهج السهل، فقمت بتبسيط القضايا العقدية وتقريبها إلى أذهان الدارسين بالشرح والتوضيح لجزئياتها مستنداً في كل ذلك إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وفهم السلف الصالح لاستمداد الشواهد والأدلة منها مع تخريج الأحاديث، حتى يتعود الدارس العيش في جو المصادر الرئيسية ويستمد مفاهيمه منها، فالإيمان بالله هو الأساس وهو لب العقيدة ثم تأتي بقية الأركان فتتصل بالركن الأول وتتكامل معه فالإيمان بالملائكة متصل بقدرة الله والإيمان بالرسل متصل بإرسال الله لهم، ليبلغوا وحيه للبشر لتستقيم حياتهم في الدنيا والإيمان بالقدر متصل بوحدانية الله فهو وحده المدبر لهذا الكون في شئونه وإجراء أحداثه فهذه العقيدة متكاملة مترابطة وكل ركن من أركانها مرتبط بركنها الأول والأكبر وهو الإيمان بالله.

العقيدة تعريف وبيان

العقائد هي الأمور التي تُصدِّق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب وتكون يقيناً عند أصحابها، لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك.

العقيدة لغة: مأخوذة من عقد الحبل إذا شد بعضه ببعض، نقيض حله.

١. مادة عقد في اللغة: مدارها على اللزوم والتأكيد والاستيثاق.

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة:٨٩].

وتعقيد الأيْمان يكون بقصد القلب وعزمه.

٢. العقود: أوثق العهود ومنه.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة:١].

٣. تقول العرب: اعتقد الشيء: أي صلب واشتد.

العقيدة اصطلاحاً: العقيدة في الإسلام تقابل الشريعة، لأن الإسلام عقيدة وشريعة.

وعرفها بعض العلماء بأنها أمور علمية يجب على المسلم أن يعتقدها في قلبه بأمر الله ورسوله مما جاء خبرها في الكتاب والسنة.

تحديد العقيدة:

العقيدة حددها الرسول ﷺ –أركان العقيدة– في حديث جبريل المشهور بقوله:

(الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى)[1]:

الاعتقاد بها:

يجب الاعتقاد الجازم في العقيدة بلا ريب أو شك.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحُجُرات:١٥].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ [البقرة:٢].

والمسائل التي يجب اعتقادها أمور غيبية.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣].

فالله غيب والملائكة غيب واليوم الآخر غيب.

العقيدة الصحيحة والعقيدة الفاسدة

العقيدة لا تختص بأمة ولا فرد وهي كائنة منذ بدء الخليقة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وتقسم إلى قسمين:

١. عقيدة صحيحة وهي العقيدة الواحدة التي جاءت بها الرسل من عند الله ولا تختلف باختلاف الزمان والمكان.
٢. عقائد فاسدة كثيرة ومتعددة وهي من وضع البشر أو من تحريف العقيدة الصحيحة وتغييرها وتبديلها مثل العقيدة اليهودية والنصرانية.

---

(١) متفق عليه.

العقيدة الصحيحة اليوم

لا توجد العقيدة الصحيحة اليوم إلاّ في الإسلام لأنه الدين المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]. فما ورد في الكتاب والسنة يقنع العقل بالحجة والبرهان.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى:٥٢].

ضرورة العقيدة

العقيدة ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء لأنه بدون العقيدة ضائع يفقد ذاته ووجوده. والعقيدة الإسلامية وحدها التي تجيب عن الأسئلة المحيرة:

من أين جئت؟ من أين جاء هذا الكون؟ من الموجد؟ ما صفاته وما أسماؤه؟ لماذا وجدنا ووجد الكون؟ وما دورنا في هذا الكون؟ وما علاقتنا بالخالق الذي خلقنا؟ هل هناك عوالم غير منظورة وراء هذا العالم المشهود؟

هل هناك مخلوقات مفكرة غير الإنسان؟

هل بعد هذه الحياة من حياة أخرى نصير إليها؟

كيف تكون تلك الحياة؟

لا يوجد سوى العقيدة الإسلامية تجيب على هذه الأسئلة إجابة صادقة مقنعة، ولعل حيرة البشرية تتجسد في قصيدة إيليا أبو ماضي«الطلاسم» والذي لا

يدري شيئاً:

جئت، لا أعلم من أين، ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت

وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت، كيف أبصرت طريقي، لست أدري

حيرة، وقلق تجلبه هذه المجاهيل للنفس الإنسانية، لوعة وأسى لأنه لا يدري إلى أين يصير؟. هذا مذهب «اللا أدرية» وهو مذهب فلسفي قديم روي عن سقراط.

بالإسلام وحده يصبح الإنسان يدري من أين جاء وإلى أين المصير، يدري لماذا هو موجود وما دوره في هذا الوجود.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك:٢٢].

العقيدة والإيمان

مفهوم الإيمان

الإيمان يمثل:

١. العقيدة فقط لأن العقيدة هي قاعدة الإيمان وأصله، فالإيمان عقيدة تستقر في القلب استقراراً يلازمه ولا ينفك عنه.

٢. ويعلن صاحبها بلسانه عن العقيدة المستكنة في قلبه.

٣. ويصدق الاعتقاد والقول بالعمل وفق مقتضى هذه العقيدة.

ومن الأمثلة على ذلك:

١. إبليس يعرف الحقائق الكبرى معرفة يقينية، يعرف الله ويعرف صدق الرسل والكتب، ولكنه نذر نفسه لمحاربة الحق الذي يعرفه.

٢. فرعون كان يؤمن بأن معجزات موسى من عند الله ولكنه جحد بها استكباراً وعلواً.

قال تعال: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

وقد خاطبه موسى قائلاً: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء:١٠٢]

٣. أهل الكتاب يعرفون أن محمداً مرسل من ربه ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦] ولكنهم لا يقرون بذلك.

٤. أبو طالب خاطب الرسول ﷺ معتذراً لعدم إيمانه:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

قال علماء السلف: الإيمان اعتقاد بالجنان ونطق باللسان، وعمل بالأركان.

صلة العقيدة بالشريعة

صلة العقيدة بالشريعة

الإيمان له شطران، عقيدة وعمل فإذا فقد أحد الركنين فإن الإيمان يزول فكل منهما لازم للآخر.

فالإيمان مثل الشجرة وجذورها هي العقيدة التي تغلغلت في قلب صاحبها والسوق والثمار هي العمل فلابد من الحفاظ على الشجرة وجذورها حتى تحافظ الشجرة على بقائها.

العناية بالعمل

يجب الاهتمام بفعل الأعمال التي فرضها الله علينا وترك ما نهى عنه لأن ذلك جزء من الإيمان وترك العمل ينقص الإيمان ولو كان من السنن.

لا يوجد في الدين قشور لأن كل أمور الدين لباب. ولكن بعضها أهم من بعض ولا يجوز لوم الذين يلزمون أنفسهم بالصغيرة والكبيرة من أمر الإسلام وسنة المصطفى ﷺ.

وما أجمل ما قاله عمر رضي الله عنه لشاب دخل عليه بعد طعنه: (يا ابن أخي قصر ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأرضى لربك) فلم يمنعه الموت من إرشاد الشاب لأمر يعده كثير من الناس اليوم من القشور التي لا يجوز الاهتمام بها.

الإيمان والكفر

إنكار العقيدة:

من أنكر العقيدة الإسلامية إنكاراً كلياً كالشيوعيين الذين ينكرون وجود الله ويكذبون الرسل، والكتب، ولا يؤمنون بالمصير والجزاء.

أو من أنكر جزءاً من العقيدة فإنه كافر غير مسلم لأن العقيدة الإسلامية لا تقبل التجزئة أبداً.

الإيمان بالله يقتضي الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ويجب الإيمان بها جميعاً ومن آمن بأصل وكفر بآخر يعتبر كافراً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗا﴾ [النساء:١٥٠].

التكذيب بأي جزئية من جزئيات الأصول الاعتقادية مما ثبت في الكتاب أو السنة ثبوتاً قاطعاً يعد كفراً كإنكار رسول من الرسل أو ملك من الملائكة الذين ورد ذكرهم في الكتاب والسنة الصحيحة.

الأعمال والأقوال التي تعد كفراً

١- عبادة غير الله، لأن العبادة حق الله وحده، وصرفها لغير الله شرك كالصلاة لغير الله والذبح لغير الله ودعاء غير الله.

٢- الكفر باللفظ مثل سب الخالق أو الإسلام أو الرسول أو الاستهزاء بالإسلام أو تفضيل أي مبدأ من المبادئ الضالة أو الأديان المحرفة على

الإسلام أو اتهام الإسلام بالنقص والقصور والتأخر والرجعية.

حكم الكفار

١. يجب على المسلم أن يعادي الكفار ويكرههم لما تلبسوا به من كفر.

٢. يجب أن يكره كفرهم.

٣. يجب أن يحارب هذا الباطل وأهله بالقول والبيان وذلك بدعوتهم إلى الحق وبيان ما هم فيه من ضلال وعرض الحق لهم عرضاً قوياً نقياً.

٤. يجب أن نحب لهم الهداية ونرجوها لهم ونحرص عليها.

٥. أن لا نزوجهم بناتنا المسلمات وأن لا نتزوج منهم إلاّ الكتابية.

٦. أن لا نغسل موتاهم ولا نصلي عليهم ولا يدفنوا في مقابر المسلمين.

الكافر عند الله

الكافر عند الله

١. الذي بلغته الدعوة ورفضها عن علم فهذا كافر مخلد في نار جهنم لا حجة له يوم القيامة.

٢. أما الذين لم يبلغهم الإسلام لسبب من الأسباب كأن بعدت ديارهم أو فقدوا السمع والبصر أو بلغهم الإسلام وهم كبار لا يعقلون فهؤلاء لا يعذبون حتى يختبروا ويمتحنوا في عَرصَات يوم القيامة لأن الحجة لم تقم عليهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

والدليل على أنهم يمتحنون قول الرسول ﷺ «أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق ورجل هرم، ورجل مات في الفترة لم تبلغه دعوة

رسول فأما الأصم فيقول: رب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول، رب ما أتاني من رسول، فيأخذ الله مواثيقه ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها سحب إليها» خرِّج الحديث صحيح الجامع: ٨٨١.

ترك الواجبات وفعل المحرمات

حكم من ترك الواجبات وفعل المحرمات.

١. من ترك ما ألزمه الله به أو بعضه أو فعل المحرمات يكون قد شوه الإيمان وأنقصه بمقدار تركه للطاعات أو فعله من الذنوب.

٢. المسلم لا يكفر بفعله للذنوب حتى يستحلها ولا بتركه للواجبات التي لم ينصّ الشرع على كفره بتركها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء:٤٨].

وفي الحديث: «ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة» هداية الحيارى: ٢٤٦.

وفي الحديث: «أتاني جبريل فبشرني أنه «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» البخاري: ٧٤٨٧.

وفي الحديث: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» البخاري: ٤٢٥.

وفي الحديث الشفاعة يقول الله لملائكته: «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان».

٣. مرتكب الذنوب مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أما تارك الواجب فينظر في الواجب المتروك فإن كان مما نَصَّ الشرع على كفر تاركه كفر، كمن ترك الأركان الأربعة مطلقاً أو ترك الصلاة مطلقاً ومات على الترك وإن كان غير ذلك فينقص إيمانه كل بحسبه..

الذين يكفرون بالذنوب

الذين يكفرون الناس بالذنوبهم هم:

الخوارج يكفرون من يرتكب ذنباً أو يقصر في واجب منطلقين من أن تحكيم الرجال خطأ شرعاً. وعدوه كفراً وكفروا جميع المسلمين الذين رضوا عن ذلك وشهدوا على أنفسهم بالكفر ثم آمنوا من جديد.

حجج الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة

١. الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، والإيمان اعتقاد وقول وعمل فإذا زال جزء من الإيمان كالعمل زال الإيمان كله.

٢. سمى الله بعض الذنوب فسقاً ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦].

فأطلق لفظ الفاسق[1] على الكاذب.

وسمى الله بعض الذنوب ظلماً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ

(١) وقال ﷺ (سباب المسلم فسوق).

نَارًاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء:١٠].

قالوا هذه الذنوب فسق وظلم، والفاسقون والظالمون كافرون بنص القرآن.

قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

٣. وردت النصوص بنفي الإيمان عن الذي ارتكب ذنباً فمن ذلك حديث: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبه يرفع الناس إليها فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن» صحيح البخاري: ٢٤٧٥.

وقال ﷺ: «لا يبغض الأنصار أحد يؤمن بالله واليوم الآخر» صحيح مسلم: ٧٦.

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلو الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا....» صحيح ابن ماجه:٥٧.

٤. تبرأ الرسول ﷺ من فعل بعض الذنوب مثل «من غشنا فليس منا»سنن الترمذي: ١٣١٥. «ومن حمل علينا السلاح فليس منا» صحيح البخاري: ٦٨٧٤. «ليس منا من لم يرحم صغيرنا» سنن الترمذي:١٩٢١.

٥. جاء تسمية بعض الذنوب كفراً. كقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

وكقوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» صحيح البخاري: ١٢١.

وقال ﷺ: « أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما» صحيح

البخاري: ٦١٠٤.

مواطن الخطأ في احتجاجات الخوارج

١. أنهم عدو كلَّ الأعمال شرط صحّة في الإيمان والصواب الذي عليه سلف الأئمة أن بعض الأعمال شرط صحة في الإيمان وبعضها شرط في كماله، وزوال شرط الكمال ينافي كماله الواجب، أي إذا زالَ زال من الإيمان جزء ويبقى ناقصاً. مثل إنسان يقطع عضو منه فإنه يبقى إنساناً تتردد فيه الحياة أما زوال العقيدة فإنه يشبه زوال الرأس أو القلب.

٢. أما الاحتجاج بأن الفسق والظلم كفر فهذا فهم خاطئ لأن معنى الفسق: الخروج عن طاعة الله وليس سواء، فقد يكون كفراً أكبر مثل إنكار الملائكة وقد يكون كفراً أصغر مثل شارب الخمر لأنه خروج معصية، كذلك الظلم فقد يكون كفراً أكبر وقد يكون أقل من الكفر الأكبر، والكفر داخل في الظلم والفسق لأنهما أعم من الكفر بينما بعض الظلم والفسق ليس كفراً.

براءة الرسول ليس المقصود منها البراءة التي توجب الكفر الأكبر وإنما التي تنفي عن الإيمان العمل الخالص وإن من يرتكبها يشبه الكفار في عمله وهو بذلك لا يكون من المطيعين لله ولرسوله. ولتوضيح ذلك نفرق بين: حقيقة الإيمان ومسمى الإيمان.

إخلاص الإيمان:

فحقيقة الإيمان: تعنى العمل الخالص بدون ذنوب.

ومسمى الإيمان: يعني أن إيمان الإنسان مخلوط بالذنوب والمعاصى.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٥].

قال ابن سلام: هذه النصوص شرحت وأبانت شرائع الإسلام المفروضة على أهله ونفت عنه المعاصي كلها فلما خالطت هذه المعاصي هذا الإيمان المنعوت بغيرها نفت عنهم حينئذ حقيقته ولم يزل عنهم اسمه.

ناقش «أبو عبيد» القاسم بن سلام شبهة من يقول: كيف يجوز أن يقال ليس بمؤمن واسم الإيمان غير زائل عنه؟

قال إن القرآن نزل بكلام العرب وأساليبها وكلام العرب المستفيض عندنا، غير المستنكر في إزالة العمل عن عامله إذا كان عمله على غير حقيقته، مثل من يقول للصانع إذا كان عمله غير محكم، ما صنعت شيئاً ولا عملت شيئاً فإنما يقع المعنى هنا على نفي التجويد لا على الصنعة في نفسها فهو عندهم عامل بالاسم، وغير عامل بالإتقان.

ومثل: يقال لمن يعق أباه ما هو بولد وهم يعلمون أنه ابن صلبه فالقصد هنا أي أنه ليس باراً ولا طائعاً أما النكاح والنسب فعلى ما كانت عليه أماكنها وأسماؤها.

كذلك الذنوب التي تنفي الإيمان إنما تحبط الحقائق التي هي صفاته فأما الأسماء فعلى ما كانت قبل ذلك ولا يقال لهم إلاّ المؤمنون وبه الحكم عليهم مثل أهل الكتاب الذين نقضوا العهد مع الله وكتموا آياته ونبذوها وراء ظهورهم إلاّ أنه سماهم أهل الكتاب وأباح لنا أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم فهم بالأحكام

والأسماء في الكتاب داخلون وهم لها بالحقائق مفارقون.

كذلك حديث المسيء صلاته فإنه مصلٍّ بالاسم وغير مصل بالحقيقة.

أما المراد من النصوص التي فيها البراءة من الرسول بالذنوب ليس معناها التبرؤ من رسول الله ﷺ ولا من ملته، إنما ليس من المطيعين للرسول ولا من المقتدين به ولا المحافظين على شرائعه.

المراد بالنصوص التي تكفِّر بالذنوب

وردت نصوص تكفِّر بالذنوب ومنها:

فالآثار المروية والتي تذكر الكفر والشرك وتوجبها بالمعاصي لا تثبت على أهلها كفراً ولا شركاً يزيل الإيمان عن صاحبه وإنما هي من أخلاق وسنن الكفار والمشركين ومن الأدلة على ذلك.

١- قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

قال ابن عباس: ليس بكفر ينقل عن الملة.

وقال عطاء: كفر دون كفر.

فالحكم بغير ما أنزل الله في قضية معينة لغرض ما وإن سمي كفراً إلاّ أنه غير ناقل عن ملة الإسلام والدين باق على حاله وإن خالطه هذا الذنب. أما أن يكون الحكم بغير ما أنزل الله ديناً متبعاً فهذا كفر يخرج عن الملَّة.

والمعنى أن الحكم بغير ما أنزل الله من سنن الكفار لأن من سننهم الحكم بغير ما أنزل الله، مثل قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

قال المفسرون إن من حكم بغير ما أنزل الله وهو على ملة الإسلام كان بذلك الحكم كأهل الجاهلية.

٢- ومثل قوله ﷺ «ثلاثة من أعمال الجاهلية: الطعن في الأنساب والنياحة على الميت وقولهم نبوء كذا وكذا» صحيح الجامع: ٣٠٥٤. كذلك مثل قوله ﷺ «آية المنافق ثلاث إذ حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان» صحيح البخاري: ٦٠٩٥.

قال أبو عبيد: «ليس وجوه هذه الآثار أن مرتكبها يكون جاهلاً ولا كافراً ولا منافقاً وهو مؤمن بالله وبما جاء من عنده ومؤدٍ لفرائضه، ولكن معناها أنها تتبين من أفعال الكفار المحرمة المنهي عنها في الكتاب والسنة ليتحاماها المسلمون ويتجنبوها فلا يتشبهون بشيء من أخلاقهم ولا شرائعهم». ومن الأمثلة على ذلك:

٣- ومثل قوله ﷺ «إذا استعطرت المرأة فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية». صحيح الجامع: ٣٢٣ فهذا ليس الزنى الذي تجب فيه الحدود.

مراد أبي عبيد من الحكم بغير ما أنزل الله بقوله: «إن الحكم بغير ما أنزل الله ليس كفراً مخرجاً من الملة، هو حكم القاضي أو الحاكم المسلم في قضية ما بالهوى مع حكمه في بقية الأمور بحكم الله».

أما الذي يطبق علينا القوانين الكافرة بالقوة ويحارب ويعذب كل من نادى بتطبيق الإسلام فهو ليس من الإسلام في شيء.

لقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

شبهة المرجئة[1] والرد عليها

قال المرجئة: (لا يضر مع الإيمان ذنب) والإيمان القلبي شيء واحد لا يتفاوت فيه الناس. حجتهم بالنصوص التي تدل على أن الذين ارتكبوا الكبائر مؤمنون يدخلون الجنة. والرد عليهم:

١. أنه ورد في أكثر من نص اعتبار الأعمال من الإيمان «أي أن الأعمال جزء من الإيمان».كقوله ﷺ «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها أماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان». الأدب المفرد: ٤٦٦.

٢. ويرد قولهم: أيضا نصوص الوعيد.

كقوله ﷺ «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن».صحيح البخاري: ٢٤٧٥.

الفرق بين الخوارج والمرجئة والسلف:

فالخوارج: يئيسون الناس، والمرجئة: يجرِّئون الناس على ارتكاب الذنوب والمعاصي.

السلف وسط بين هؤلاء وهؤلاء: يثبتون لمرتكب الكبيرة إيماناً مقيداً في الدنيا، وفي الآخرة أمرهم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر.

(١) المرجئة: هُم الذين أرجؤوا – أي أخروا– الأعمال عن الإيمان .

العقيدة والفلسفة وعلم الكلام

زعم الفلاسفة

يزعمون أن هدفهم معرفة أصل الوجود وغايته، ومعرفة السبيل الـذي يحقـق السعادة الإنسانية عاجلاً أو آجلاً «من الذي خلق الوجود ولماذا خلقه؟».

الاختلاف بين الدين والفلسفة في عدة محاور أهمها:

١. المصادر والمنابع.

٢. المنهج والسبيل.

٣. قوة التأثير والسيطرة.

٤. الأسلوب وطريقة الاستدلال وآثار كل منهما.

أولاً: المصادر والمنابع:

الفلسفة عمل إنساني يتحكم فيه كل ما في طبيعة الإنسان من قيـود وحـدود، وتدرج بطيء في الوصول إلى المجهول، وقابلية للتغيير والتحول والتقلب بين الهـوى والضلال، واقتراب أو ابتعاد عن درجة الكمال، من أمثلة ذلك:

(أفلاطون): أخذ أساطير عـصره وضـمنها أفكـاره ومعتقداتـه فغلبـت البيئـة الوثنية على تفكيره بحكم العـادة وتـواتر المحسوسات فأدخـل في عقيدتـه «أربـاب وأنصاف أرباب لا محل لها في ديانات التوحيد».

يقول العقاد: جعل أفلاطون الوجود طبقتين «طبقة العقل المطلق وطبقة المـادة الأولية (أو الهيولي) فالقدرة كلـها مـن العقـل المطلـق والعجـز كلـه مـن الهيـولي والكائنات تعلو وتسفل بمقدار ما تأخذ من العقل ومن الهيـولي وذلـك مـن أجـل

تعليل ما في العقل من شر ونقص وألم، ويوجد كائنات متوسطة بعضها أرباب وبعضها أنصاف أرباب وبعضها نفوس بشرية، فالعقل المطلق كمال لا يحده زمان ولا مكان ولا يصدر عنه إلاّ الخير والفضيلة».

الأرباب الوسطى تتولى الخلق لتوسطها بين الآلهة القادرة والهيولي العاجز.

أفلاطون يؤمن بعقيدة تناسخ الأرواح[1].

أما مصدر العقيدة الإسلامية فهي:

١. وحي من الله له كل ما للإلهيات من ثبات الحق الذي لا تبديل لكلماته، وصرامة الصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢. وهي منحة كريمة تصل إلى حامليها وسفرائها بلا كدح ولا نصب.

ثانياً: المنهج والسبيل:

أوجه الشبه والاختلاف في المنهج والسبيل بين الفلسفة والدين

١. الفلاسفة يبدؤون بدراسة النفس الإنسانية ويجعلونها الأصل الذي يبنون عليه ويفرِّعون منه فقالوا عن إدراك العلم: إنه تارة يكون بالحس وتارة بالعقل وتارة بهما.

٢. جعل الفلاسفة العلوم الحسية هي: أ- الأصل الذي لا يحصل علم إلاّ بها، وجعلوا أصولاً ثلاثة يبنون عليها سائر العلوم وهي الأمور الطبيعية والحسابية والأخلاق.

فعندهم: الواحد نصف الاثنين والجسم لا يكون بمكانين. وأن الضدين لا يجتمعان.

ويجعلون الأخلاق من الفروع التي تفتقر إلى الدليل ويرتبون العلم: أولاً

المنطق ثم الطبيعي والرياضي ثم العلم الإلهي.

الفلاسفة يتوسعون في الأمور الطبيعية ثم يصعدون إلى الأفلاك وأحوالها، ثم إلى واجب الوجود، ثم إلى العقول والنفوس.

الغاية التي يرمي إليها المتكلمون الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر هي إثبات وحدانية الخالق وأنه لا شريك له ويظنون أن هذا هو المراد بـ(لا إله إلا الله).

أما المنهج القرآني:

١- يجعل فاتحة دعوته الدعوة إلى عبادة الله وحده

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وكل رسول يطالب قومه ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ [الأعراف:٥٩].

٢- ويعتبر أصل العلم عنده هو العلم بالله سبحانه لا الحس ولا البدهيات فالله سبحانه هو الأول الذي خلق الكائنات والآخر الذي إليه تصير الحادثات.

فهو الأصل الجامع والعلم به أصل كل علم وجامعُه، وذكره أصل كل ذكر وجامعه، والعمل له أصل كل عمل.

٣- من العلم بالله تتشعب أنواع العلوم.

٤- من عبادته وقصده تتشعب وجوه المقاصد الصالحة.

٥- فمن تمسك به فلا يزال إما في زيادة في العلم والإيمان وإما يسلم من

الجهل والكفران.

٦- العلم بالله أعظم سبيل لمعرفة الله ومعرفة الحياة والأشياء ومعرفة النفس الإنسانية.

سئل ابن عباس رضي الله عنه بم عرفت ربك قال: «من طلب دينه بالقياس لم يزل دهره في التباس ظاعناً في الاعوجاج زائفاً عن المنهاج، أعرفه بما عرف به نفسه، وأصفه بما وصف به نفسه».

وقال ابن ابي حاتم: عرفنا كل شيء بالله.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة عندما أرسل معاذاً إلى اليمن فأوصاه بأنه سيقدم على قوم أهل كتاب وأوصاه أن يكون أول ما يدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا ذلك فيدعوهم بعد ذلك إلى الفرائض فلم يأمره ﷺ أن يدعوهم أولاً إلى الشك، أو النظر، أو القصد إلى النظر كما هي طريق المتكلمين.

ولقد طبق علماء الإسلام منهج رسول الله ﷺ ومنهم الإمام البخاري، حيث بدأ كتابه بأصل العلم والإيمان «بدء نزول الوحي» فأخبر عن صفة نزول العلم والإيمان على الرسول ﷺ أولاً ثم أتبعه بكتاب الإيمان الذي هو الإقرار بما جاء به، ثم بكتاب العلم الذي هو معرفة ما جاء به، وهذا الترتيب يدل على علم الإمام البخاري وحكمته وفقهه.

٧- عندما يبعث الله الناس لا يسألهم عن العلوم الحسية والبديهية والمنطق والطبيعي بل يسألهم عن استجابتهم للرسل أو عدمها.

قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ

﴿أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:٨-١٠].

فالامتحان مكشوف، والسؤال معروف، والجواب معروف وبقى على الإنسان أن يعرف ما هو السؤال وما هو الجواب.

الحجة لا تقوم على الناس إلاّ ببعثة الرسل ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥].

مجرد الإقرار بوحدانية الخالق لا تكفي لأن المشركين أقروا بذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت:٦١]. ولكن لم ينفعهم الإقرار وحاربهم الرسول ﷺ.

ثالثاً: قوة التأثير:

الفرق بين العقيدة والفلسفة في قوة التأثير

١. العقيدة: تمتاز بسلطان قوي قاهر على نفوس معتنقيها.

أما الفلسفة: فليس لها ذلك السلطان والسبب أن الفلسفة تبحث بقدر الطاقة البشرية فلا يمكن أن تصل إلى درجة الكمال.

٢. والعقيدة الإسلامية ملزمة ولا تقبل جدلاً ولا مناقضة ولا مساومة ولا تحللاً ويجب أن يخلص لها إخلاصاً خارقاً للعادة يضحي في سبيلها بحياته. غاية الفلسفة المعرفة وغاية الدين الإيمان، مطلب الفلسفة فكرة جافة ترتسم في صورة جامدة ومطلب الدين روح وثابة وقوة محركة.

أما الفلسفة فتعمل في جانب واحد من جوانب النفس بينما الدين يستحوذ على النفس بجملتها.

أقصى مطالب الفلسفة أن تعرفنا الحق والخير ما هما وأين هما ولا يعنيها بعد ذلك موقفنا من الحق الذي نعرفه، أما الدين فيعرفنا الحق لا لنعرفه فحسب بل لنؤمن به ونحبه ونمجده ويعرّفنا الواجب لنؤديه ونوفيه.

غاية الفلسفة مجرد المعرفة التي تربط بين الأسباب والمسببات أما الدين فيلفت النظر كي يتعرف الإنسان بخالقه ويتوجه إليه ويحبه ويقدسه.

٣. الفلسفة لا يعنيها التوسع والانتشار بل قد يبخل أصحابها على غيرهم فيحتكرونها ويأتثرون بها.

أما العقيدة الدينية فهي تهز قلوب أصحابها لتحقيق أهدافها بالنشر والدعوة.

رابعاً: الأسلوب:

بين العقيدة الإسلامية والفلسفة من حيث الأسلوب

العقيدة: أسلوب خاص يتميز بالحيوية والإيقاع وتمتاز بمخاطبة الكينونة الإنسانية بكل جوانبها وطاقاتها ولا تخاطب الفكر وحده.

مسلك القرآن في بيان العقيدة الإسلامية يتسم بالبساطة والوضوح مما يجعل إدراكها سهلاً ميسراً لكافة المستويات من الناس.

أما الفلسفة: فتحاول أن تحصر الحقيقة في العبارة مما يجعلها تنتهي إلى التعقيد والتخليط الجاف.

لذا يجب أن لا تعرض العقيدة الإسلامية بأسلوب الفلسفة لأنه يقتلها ويطفئ إشعاعها وإيحاءها.. ويقصرها على جانب واحد من جوانب الكينونة الإنسانية الكثيرة.

أما الفلسفة الكلامية: فهي معقدة مليئة بالمصطلحات ولا يدرك محتوياتها إلاّ القليل من الناس.

خامساً: طريقة الاستدلال:

الفروق بين طريقة القرآن في الاستدلال وطريقة الفلسفة

١. استدلال القرآن بالآيات الكونية على وحدانية الخالق لأن العلم بكون هذه العوالم مخلوقة مربوبة أمر فطري لا يحتاج إلى إقامة الدليل والبرهان... فهذا الكون فقير إلى الخالق مقهور مربوب.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء٣٠:٣١].

أما الفلاسفة فهم يقيمون الأقيسة للاستدلال على حدوث العالم.

٢. الأدلة العقلية التي جاء بها القرآن لائقة بجلال الله وكماله فلم يستعمل القرآن قياس الشمول وقياس التمثيل الذي تستوي أفراده في حق الله تعالى لأنه يلزم منها تسوية الخالق بالمخلوق.

وإنما يستعمل في حقه تعالى قياس الأولى الذي مضمونه أن كل كمال وجودي غير مستلزم للعدم ولا للنقص بوجه من الوجوه اتصف المخلوق به (ولله المثل الأعلى) وكل نقص ينزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه.

٣. الأدلة العقلية القرآنية تدل على الحق بأبلغ عبارة وأوجزها، أما الدلالة الكلامية والفلسفية فكثير منها ضعيف يؤدي إلى الشك والاضطراب والحيرة وقد يؤدي إلى رد الحق.

٤. بعض أدلة المتكلمين يلزم منها لوازم باطلة، إذ يلزم من بعضها رد الحق الثابت في الكتاب والسنة منها رد النصوص التي تدل على أن الله في السماء بحجة أن الله لا يكون في جهة لأن كونه في جهة يعد تحيزاً وخطؤهم أنهم ظنوا أن معنى كونه في السماء أن السماء تحويه.

سادساً: الجنىُ والعطاء:

من الفروق أن القرآن يعطي إيماناً مفصلاً كما قال جندب بن عبد الله «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً».

فالقرآن يصف لنا ربنا ويعدد لنا أسماءه ويعرفنا بأفعاله ومخلوقاته ويصف لنا القيامة وأهوالها والجنة والنار كأننا نراها.

أما المتكلمون فإن غاية ما عندهم إيمان مجمل لا يعطي علماً وافياً ولا تصوراً واضحاً.

والخاتمة

أنه لا لقاء بين الدين والفلسفة لأنهما مختلفان في البداية والنهاية والطريقة والأسلوب وفي التأثير والعطاء وفي المنابع والمصادر.

الإسلام لا يحتاج إلى من يكمله في عقائده وتشريعاته لأن الذي أكمله العليم الخبير.

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة:٣].

ولا نحتاج إلى أن نوفق بينه وبين الفلسفة ولا بينه وبين اليهودية والنصرانية ولا بينه وبين أي مذهب آخر لأنه حق لا باطل فيه.

﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فُصِّلَت:٤٢] وغيره باطل أو حق مخلوط بباطل، فيجب أن تبقى عقيدتنا وشريعتنا متميزة صافية نقية كما يريد ربنا ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة:٢٦٥] وأن لا نلبسها بغيرها ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ [آل عمران:٧١].

موقف العلماء من علم الكلام:

قاوم العلماء من خلط العقيدة بالفلسفة مثل ابن سينا وحاربوا الفلسفات وعلم الكلام وقد انقسم العلماء إلى قسمين:

١- القسم الأول: انتبهوا إلى خطر الفلسفة وعلم الكلام فقاوموه منذ البداية مثل الإمام أحمد والإمام الشافعي.

٢- القسم الثاني: انتبهوا إلى خطرها بعد أن خاضوا فيها ولم ينتبهوا إلاّ في أواخر أعمارهم فندموا ومنهم الرازي، حيث يقول: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً» وعاد إلى طريقة القرآن وقال: ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥]، وأقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

ثم قال: (من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي).

كذلك الشهرستاني: يقرر أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين بعد طول بحث وتنقيب إلاّ الحيرة والندم. والجويني يقول: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به».

الغزالي: أعرض في آخر عمره عن الاشتغال بعلم الكلام والطرق الكلامية وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ فمات وصحيح البخاري على صدره.

الفرق عند أحمد أمين بين صاحب الرأي وبين صاحب العقيدة وأثر كل منهما في الحياة:

أن الرأي يدخل في المعلومات، وأما العقيدة فتجري في الدم، صاحب الرأي فيلسوف يتقلب بين الصواب والباطل، صاحب العقيدة جازم باتّ لا شك عنده ولا ظن لأن عقيدته هي الحق، صاحب الرأي فاتر بارد، وصاحب العقيدة حار متحمس لا يهدأ إلاّ إذا حقق عقيدته. ذو الرأي سهل أن يتحول وأن يتحور حسب المصلحة، أما صاحب العقيدة فيتمثل ما قاله رسول الله ﷺ (لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع هذا الذي جئت به ما تركته).

الرأي يخلق المصاعب، ويضاعف العقبات ويثير الشبهات ويبعث على التردد. أما العقيدة فتقتحم الأخطار وتزلزل الجبال وتنسف الشك والتردد.

مناهج العلماء في إثبات العقائد

يرى علماء السلف أن كل ما أخبرنا الله به أو أخبرنا بـه رسـول الله ﷺ يجـب الإيمان به وتصديقه سواءٌ كان خبراً متواتراً أو خبر أحادٍ ما دام صحيحاً ويستدلون بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦] وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [التغابن:١٢].

أما الباطنية: فقد احتجت بأحاديث ضعيفة أو موضوعة.

وهذا لا يصح إذ يجب التحقق من الأحاديـث قبـل الاحتجـاج بهـا حتـى لا ننسب لدين الله ما ليس منه ونقرر أموراً اعتقادية باطلة مثل:

«إن الله يجلس على القنطرة الوسطى بين الجنة والنار».

والفلاسفة وأهل الكلام: طائفة رفضت الاحتجاج بالأدلة النقلية أي بـالقرآن والسنة في إثبات العقائد زاعمين أنها لا تفيد الـيقين ولا تحـصل بهـا المطلـوب ولا تثبت بها عقيدة لأنها مجال واسع لاحتمالات كثيرة تحول دون هذا الإثبات.

وهذا قول متهافت وهو مخالف لإجماع الأمة وإذا كانت النصوص مجالاً واسعاً للاحتمال فكيف يكون كلام البشر.

والمعتزلة ومن وافقهـم: رفـضوا الاحتجـاج بأحاديـث الآحـاد الـصحيحة في العقائد، فلا يحتجون إلاّ بالقرآن أو المتواتر من الأحاديث وكذلك لا يثبتون العقيدة بالقرآن والحديث المتواتر إلاّ إذا كان النص قطعي الدلالة.

توضيح شبهتهم والرد عليهم

شبهتهم: أن أدلة العقائد لابد أن تفيد اليقين وأحاديث الآحاد والنصوص القرآنية والأحاديث المتواترة إذا كانت دلالتهما غير قطعية لا تفيد اليقين بل هي ظنية والظن لا يجوز أن يحتج به في هذا المجال.

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس:٣٦].

الرد عليهم:

احتجاجهم بهذه الآيات مردود لأن الظن في الآيات ليس هو الظن الذي عنَوه لأن النصوص التي ردوها ورفضوا الاحتجاج بها في مسائل العقائد تفيد الظن الراجح، والظن الذي ذمه الله تعالى هو الخرص والتخمين وهو الذي نعاه الله على المشركين.

وكذلك بالنسبة لخبر الآحاد، أخبر بعض العلماء أنه يفيد العلم لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه.

وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً وعملاً به يوجب العلم، وهذا عليه أكثر الفقهاء وأهل الحديث والسلف.

النصوص الدالة على الاحتجاج بخبر الآحاد

وردت نصوص كثيرة تدل على وجوب الأخذ بحديث الآحاد والاحتجاج بها في إثبات العقائد منها:-

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

يَحۡذَرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٢].

وجه الاستدلال:

الطائفة في لغة العرب تطلق على الواحد فما فوق، والتفقه في الدين يشمل العقائد والأحكام، والتفقه في العقائد أهم من التفقه في الأحكام.. ففي الآية دليل صريح على وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة، وإلاّ ما جاز للطائفة أن تنذر.

٢- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجُرات:٦].

وفي القراءة الأخرى (فتثبتوا).

وجه الدلالة:

تدل على أن من لم يكن فاسقاً بأن كان عدلاً إذا جاء بخبر ما فالحجة قائمة به وأنه لا يجب التثبيت بل يؤخذ حالاً.

٣- ورد في السنة ما يوضح:

قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ ﴾ [التوبة:١٢٢].

عن مالك بن الحويرث قال: «أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظّن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا، فأخبرناه، وكان رقيقاً رحيماً فقال: ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي» «وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم» صحيح البخاري: ٦٠٠٨.

وجه الدلالة:

فقد أمر الرسول ﷺ كل واحد من هؤلاء الشباب أن يعلّم أهله، والتعليم يعم

العقيدة.. فلو لم يكن خبر الآحاد مما تقوم به العقيدة لم يكن لهذا الأمر معنى.

٤- ورد في صحيحي البخاري ومسلم أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «هذا أمين هذه الأمة».

وجه الدلالة:

لو لم تقم الحجة بخبر الواحد لم يبعث الرسول ﷺ إليهم أبا عبيدة وحده. وكذلك يقال في بعثة الرسول ﷺ في نوبات مختلفة إلى بلاد متفرقة كعلي ومعاذ وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم.

ولا شك أن هؤلاء كانوا يعلمون العقائد، فلو لم تكن الحجة قائمة بهم عليهم لم يبعثهم رسول الله ﷺ أفراداً.

وقد علق الإمام الشافعي في كتابه الرسالة فقال: وهو لم يبعث بأمره إلاّ والحجة للمبعوث إليهم وعليهم قائمة بقبول خبر الواحد عن رسول الله ﷺ وقد كان قادراً على أن يبعث إليهم فيشافههم أو يبعث إليهم عدداً فبعث واحداً يعرف بالصدق.

الرد على القائلين بأن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في العقيدة:

١- إن القول بأن أحاديث الآحاد لا تثبت بها عقيدة قول مبتدع حادث لا أصل له.

٢- قولهم هذا في ذاته عقيدة، وعلى طريقتهم، فإن هذه العقيدة تحتاج إلى دليل قطعي ينهى عن الأخذ بأحاديث الآحاد ولا دليل على ذلك.

٣- لو وجد دليل قطعي يدل على أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها عقيدة

لعلِمها الصحابة وصرحوا بها.

٤- هذا القول مخالف للمنهج العلمي الذي كان عليه الصحابة فقد كان الواحد منهم يقبل خبر من حدثه عن الرسول ﷺ ويجزم به ولا يرد قول أخيه بحجة أنه خبر آحاد.

٥- الأدلة الدالة على وجوب الأخذ بأدلة الكتاب والسنة تشمل العقائد والأحكام، فتخصيص هذه الأدلة بالأحكام دون العقائد إذا كانت آحاداً تخصيص من غير مخصص.

٦- أمر الله تعالى رسوله بالبلاغ المبين، ومعلوم أن البلاغ المبين هو الذي تقوم به الحجة على المبلَّغ، ويحصل به العلم فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ. «الرسول واحد».

٧- يلزم من قول المعتزلة إبطال الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة مطلقاً من بعد الصحابة الذين سمعوه منه ﷺ مباشرة؛ لأن الأحاديث لم تصل للناس قبل تدوينها إلاّ بطريق الآحاد.

٨- وقول المعتزلة يقتضي ترك العمل بأحاديث الآحاد التي فيها عقيدة وعمل؛ لأن عدم الأخذ بها في العقائد رد لها فكيف يؤخذ بها في الأحكام.

٩- لم يتفق الأصوليون على هذا القول كما زعم الشيخ شلتوت، وقد نص الإمام مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة وغيرهم على أن خبر الواحد يفيد العلم.

العقائد التي تثبت بأحاديث الآحاد:

هذه جملة من العقائد التي ردها الذين لا يأخذون بخبر الواحد

ج: ١. القول بنبوة آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء الذين لم ينص عليهم القرآن.

٢. أفضلية نبينا محمد ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين.

٣. شفاعته ﷺ العظمى في الحشر.

٤. شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته.

٥. معجزاته كلها ما عدا القرآن.

٦. الأحاديث التي تتحدث عن بدء الخلق وصنعه والملائكة والجن والجنة والنار وأنهما مخلوقتان وأن الحجر الأسود من الجنة.

٧. خصوصياته ﷺ مثل دخول الجنة ورؤية أهلها وإسلام قرينه من الجن.

٨. القطع بأن العشرة المبشرين بالجنة من أهل الجنة.

٩. الإيمان بسؤال منكر ونكير في القبر.

١٠. الإيمان بعذاب القبر.

١١. الإيمان بضغطة القبر.

١٢. الإيمان بالميزان ذي الكفتين يوم القيامة.

١٣. الإيمان بالصراط.

١٤. الإيمان بحوضه ﷺ وأن من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

١٥. دخول سبعين ألفاً من أمته ﷺ بغير حساب.

١٦. الإيمان بكل ما صح في الحديث في صفة القيامة والحشر والنشر بما ليس في القرآن.

١٧. الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره وأن الله تعالى كتب على كل إنسان سعادته أو شقاوته ورزقه وأجله.

١٨. الإيمان بالقلم الذي كتب كل شيء.

١٩. الإيمان بأن أهل الكبائر لا يخلدون في النار.

٢٠. الإيمان بأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة.

٢١. الإيمان بأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.

٢٢. الإيمان بأن لله تعالى ملائكة سياحين يبلغون النبي ﷺ سلام أمته.

٢٣. الإيمان بمجموع أشراط الساعة كخروج المهدي ونزول عيسى وخروج الدجال.

علماً بأن بعض هذه العقائد التي وردت في أحاديث متواترة مثل خروج الدجال وخروج المهدي ونزول عيسى.

والأدهى من ذلك أنهم ردوا بعض العقائد التي وردت في القرآن بزعم أن دلالة هذه النصوص غير قطعية لذا لم يثبتوا رؤية العباد لربهم في يوم القيامة مع تصريح القرآن بإثباتها. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣].

حكم من أنكر ما ثبت بخبر الآحاد

اختلف العلماء في حكم من أنكر ما ثبت بخبر الآحاد كما يلي:

١. قال إسحق بن راهويه: يكفر، نقل ذلك السفاريني.

٢. وقال غيره: لا يكفر بل هو مبتدع ضال.. وسلك مسلكاً بيّن الخطأ ويخشى عليه أن يزيغ بسبب رده لهذه الأحاديث وأن يبتليه الله بالمعضلات.

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

المنهج في عرض العقيدة

يجب أن تعرض العقيدة وفق المنهج الذي عرضه الكتاب والسنة وأن لا تتجاوز هذا المنهج فهو الطريق الذي أحيا قلوب الأوائل من هذه الأمة.

وهو السبيل الذي سيصلح بقية الأمة.

وصدق الإمام مالك عندما قال: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح به أولها».

يقول البعض: كيف نعرض القرآن على من لا يؤمن بالله؟ يجب أن نخاطب الناس اليوم بمنطق العلم المادي الحديث والأدلة العقلية فإذا اقتنعوا بالإسلام خاطبناهم بالقرآن.

نرد عليهم:

كيف أمر الله رسوله أن ينذر بالقرآن الكفار الذين يكذبون بالله وبالقرآن وبالرسول. قال تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩].

فكان يتلو عليهم القرآن فيهز نفوسهم ويزلزل قلوبهم مثل أمية بن خلف والوليد بن عتبه وغيرهم وقد يقال بأن القرآن يتلى في كل مكان حتى إذاعة لندن والعدو الإسرائيلي ومع ذلك فإن أبناء الإسلام لا يؤمنون بما جاء فيه.

والرد:

أن العرب قديماً كانوا يفقهون معاني الآيات ومراميها فلا حجاب بينهم وبينه

فكان يدخل إلى أعماق نفوسهم، أما اليوم فيوجد بين الناس وبين القرآن، حواجز وحجب بعضها يعود إلى اللغة وبعضها إلى شبهات استقرت في الأذهان وأصبحت عند بعض الناس مسلمات.

لذا فإن مهمة حامل القرآن أن يقوم بترجمة القرآن إلى اللغة التي يفهمها الناس. وعليه أن يصل الناس بالقرآن، وأن يصل القرآن بالناس، وأن يبين معانيه ومراميه وأن يجدد معاني هذا القرآن في النفوس حتى تتذوقه وتستشعر به.

الدعوة إلى التقارب بين الأديان

دعوة مشبوهة يحاول أعداء الله والمخدعون من أبناء هذه الأمة أن يشوهوا هذا الدين، والخطأ هنا أن يجعلوا الإسلام موضوعاً للبحث كاليهودية والنصرانية.

وكان واجب المسلمين الذين اشتركوا في هذه المؤتمرات والندوات أن يتبعوا سبيل القرآن حين قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

وكان عليهم أن يبينوا باطل اليهود والنصارى بالتي هي أحسن ويعرضوا عليهم الدين الحق ويقيموا عليهم الحجة لا أن يخطبوا ودهم ويجاملوهم في باطلهم.

ويخطئ من يخلط الإسلام بغيره من الأديان والمذاهب والفلسفات بحجة التوفيق ليصلوا إلى مرحلة وسط يلتقي فيها الإسلام بغيره؛ لأن الإسلام دين الله يهيمن على الحياة والأحياء، ولا يحتاج إلى أن نوفق بينه وبين غيره، فغيره الباطل وقد يكون فيه صالحاً والإسلام صلاح كله ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ﴾ [البقرة:٢٦٥].

ذم الله الذين يريدون مزج الإسلام بغيره والالتقاء في طريق وسط بزعم التوفيق، وأخبر أن هذا فعل المنافقين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء٦١:٦٢].

أهمية علم العقيدة

شرف العلم بشرف المعلوم

وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع ولهذا سماه الإمام أبو حنيفة رحمه الله الفقه الأكبر.

حاجة العباد إليه فوق كل حاجة وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة لأنه حياة القلوب فلا نعيم ولا طمأنينة إلا بمعرفة ربها ومعبودها وفاطرها وهو أحب إليها مما سواه.

مسائل علم العقيدة

مسائل علم العقيدة هي:

الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ولم يؤمن بها إلا أتباع الرسل.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

فالإيمان يكون بما ذكر جملة والكفر أيضاً يكون بها جملة كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] .

ومن السنة حديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».

دلائل علم العقيدة

دلائل علم العقيدة هي:

القرآن العظيم لأنه اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره فهو الدليل والمدلول عليه والشاهد والمشهود له.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١].

فقد ضرب الله فيه للناس من كل مثل وهي مقاييس عقلية مفيدة للمطالب الدينية «البراهين على إثبات وجود الله».

والصواب الموجود عند المتكلمين والفلاسفة من الطرق العقلية يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن بأفصح عبارة وأوجزها.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣].

قال الرازي في كتابه: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. وأقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].

مصادر علم العقيدة

أما مصادر علم العقيدة فهي:

١. القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٣].

فهو روح وهو نور وهو شفاء.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فُصِّلَت:٤٤].

ينتفع به المؤمن: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥].

٢. السنة النبوية:

قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

وفي هذا دليل على وجوب تحكيم الرسول ﷺ، فقد أقسم الله سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكّموا نبيه ويرضوا بحكمه ويسلموا تسليماً.

٣. طريق أهل السنة.

إن السلف الصالح كانوا لا يعدلون عن النص الصحيح إلى قول أحد فإن وافقه فهو حق وإن خالفه فهو باطل وإن لم يعلم فإنه يمسك عنه ولا يتكلم إلا بعلم، والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ، والعلم عن غير الرسول ﷺ يكون في الأمور الدنيوية مثل الطب والحساب، أما الأمور الإلهية والمعارف الدينية فتؤخذ عن الرسول ﷺ فقط.

٤. خبر الواحد من السنة النبوية:

أ- خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً وتصديقاً فهو يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة وهو أحد قسمي المتواتر مثل خبر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (إنما الأعمال بالنيات).

ب- كان رسول الله ﷺ يرسل رسله آحاداً ويرسل كتبه مع الأحاد ولم يكن المرسَل إليهم يقولون لا نقبله لأنه خبر واحد.

ج- اهتمام أهل الحديث بأحوال نبيهم وسيرته وأخباره، وقد صدق فيهم خبر الرسول ﷺ حيث يقول فيهم «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم».

الإيمان

اتفق أهل السنة والجماعة على مضمون الإيمان وتطبيقاته العملية واختلفوا في دلالة بعض الألفاظ التي تعبر عن ذلك كما يلي:

١- الإمام الطحاوي قال:

هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان

وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق.

الإيمان واحد، وأهله في أصله سواء. والتفاضل بينهم بالخشية والتقى. ومخالفة الهوى وملازمة الأولى.

الإيمان عند أهل السنة:

وهو تعريف الجمهور مالك والشافعي وأحمد وغيرهم قالوا: الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

مجمل الأقوال في تعريف الإيمان

جمهور السلف: الإيمان ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح.

الطحاوي وأبو حنيفة: الإيمان ما يقوم بالقلب واللسان دون الجوارح.

الكرامية: الإيمان ما يقوم بالقلب وحده وهذا قول فاسد.

الجهمية: الإيمان هو المعرفة وهذا قول فاسد.

الماتريدي: الإيمان هو التصديق.

الاختلاف بين أبي حنيفة وبقية أهل السنة في تعريف الإيمان

١. الاختلاف صوري لأن أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزءاً من الإيمان.

٢. اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان بل هو في مشيئة الله، إن شاء عذبه، إن شاء عفا عنه.

٣. النزاع اللفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد.

٤. من قال بكفر تارك الصلاة ضموا إلى هذا الأصل أدلة أخرى.

٥. النبي ﷺ نفى الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر ولم يوجب ذلك زوال اسم الإيمان عنهم بالكلية وهذا أمر متفق عليه.

اتفاق أهل السنة على القول والعمل

١. اتفقوا على أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل.

٢. المقصود بالقول: التصديق بالقلب والإقرار باللسان.

٣. المقصود بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح لو صدق المسلم بقلبه وأقر بلسانه وامتنع عن العمل بجوارحه، مسلم عاص عند أبي حنيفة ومن وافقه من الأشاعره، وكافر عند جمهور السلف لأن العمل عندهم ركن في مسمى الأيمان.

أما من قال: إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان... اعتبروا الإيمان شيئاً واحداً، لذا فإيمان أي مسلم مثل إيمان أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بل مثل إيمان الأنبياء والملائكة. وهذا «قول الفرق الضالة».

الرد عليهم:

هذا غلو لأن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر.

التساوي في أصل الإيمان

قال الطحاوي: (وأهله في أصله سواء) وهذا يدل على أن للإيمان أصلاً وفرعاً بل فروعاً- هو أعمال الجوارح وأعمال القلب"، وإذا كان الفرع داخلاً في مسمّى الإيمان لم يعد الإيمان واحداً بل متفاضلاً ومتفاوتاً فنور لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيه إلا الله تعالى:

فمن الناس نورها في قلبه كالشمس.

ومنهم من نورها كالكوكب الدري.

ومنهم كالمشعل العظيم.

ومنهم كالسراج المضيء.

ومنهم كالسراج الضعيف.

ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بإيمانهم بين أيديهم على هذا المقدار، كلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته حتى لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنباً إلا أحرقه.. ولهذا نجد أن سماء إيمانه قد حُرست بالرجوم من كل سارق ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى» صحيح البخاري: ٤٢٥. وقال ﷺ (لا يدخل النار من قال: لا إله إلا الله).

شعب الإيمان

معنى شعب الإيمان "أي أقسامه"

قال ﷺ: «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول" لا إله إلا

الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» / الأدب المفرد: ٤٦٦. ويمكن تفصيل ذلك بما يلي:

١- الإيمان أصل له شُعَب متعددة وكل شعبة منه تسمى إيماناً.

أ- فالصلاة إيمان، والزكاة والصوم والحج إيمان.

ب- والأعمال الباطنة، كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه من الإيمان... حتى تصل إلى إماطة الأذى عن الطريق.

٢- هذه الشعب منها:

أ- ما يزول الإيمان بزوالها، كشعبة الشهادة.

ب- ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق.

ج- وبينها شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً.

د- ومنها ما يقرب من شعبة الشهادة ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى.

٣- كما أن شعب الإيمان إيمان، كذلك شعب الكفر كفر مثل:

أ- الحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان.

ب- والحكم بغير ما أنزل الله كفر.

قال ﷺ «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». مجموع الفتاوى ج٧/ ٥١

وفي لفظ «ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

مسألة زيادة الإيمان ونقصانه

وردت أدلة على زيادة الإيمان ونقصه كما يلي:

أ- من القرآن الكريم

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢].

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم:٧٦].

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة:١٢٤].

ب- قول الرسول ﷺ (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف). صحيح مسلم: ٢٦٦٤

أولياء الله هم المؤمنون:

أي أن المؤمنين أولياء لله تعالى والله تعالى وليهم ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]..

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣].

- والمؤمنون بعضهم أولياء بعض ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:٧١].

- وأكرم المؤمنين عند الله أطوعهم وأتقاهم وأتبعهم للقرآن والسنة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجُرات:١٣].

وقال ﷺ (الا لا فضل لعربي على أعجمي ولعجمي على عربي ولأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى). مسند الإمام أحمد: ١٥٣٦

- ويعتبر الأنبياء أكمل الناس توحيداً وإيماناً وخاصة الرسل وأكملهم توحيداً أولوا العزم من الرسل وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين، وأكمل أولي العزم توحيداً الخليلان محمد وإبراهيم صلوات الله عليهما وسلامه لأنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علماً ومعرفة وحالاً ودعوة للخلق وجهاداً. لذا يجب علينا أن نقتدي بالرسل في جميع أوقاتنا مثل ما أرشدنا به الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠].

كان ﷺ يعلم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: (أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين). صحيح الجامع: ٤٦٧٤

والصحابة أكمل الناس إيماناً بعد الأنبياء ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال:٧٤].

تسمية أهل القبلة مسلمين مؤمنين:

قول الطحاوي: «ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين». معناه: من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا. حتى ولو كان من أهل الأهواء.

تكفير أهل القبلة

اختلفت الفرق الإسلامية في مسألة تكفير أهل القبلة كما يلي:

١- أهل السنة والجماعة

يقول الإمام الطحاوي: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله».

فأهل السنة تقول لا نكفّر من أهل القبلة أحداً، وينفون التكفير نفياً عاماً، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى.

٢- المرجئة تقول: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهذا خطأ.

٣- الخوارج يقولون: نكفر المسلم بكل ذنب أو بكل ذنب كبير.

٤- المعتزلة يقولون: يحبط إيمانه كله بالكبيرة فلا يبقى معه شيء من الإيمان.. والفرق بين المعتزلة والخوارج أن المعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر وهذه المنزلة بين المنزلتين وبهذا أوجبوا له الخلود في النار. أما الخوارج فيقولون: يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر.

٥- أهل الكلام يقولون: صاحب الاعتقادات البدعية يكفر سواء كان متأولاً أم مخطأ.

والرد عليهم: أن المبتدع يكون مؤمناً باطناً وظاهراً إن كان متأولا تأويلاً أخطأ فيه إما مجتهداً وإما مفرطاً مذنباً، فلا يقال إن إيمانه حبط بمجرد ذلك إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي... ويجب أن يفرق بين أقوال المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول أو إثبات ما نفاه أو الأمر بما نهى عنه أو النهي عما أمر به فيقال فيها الحق ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص ويبين أنها كفر ويقال: من قالها فهو كافر.

الشهادة بالكفر على شخص معين

لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة لأن الشهادة على رجل معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه من أعظم البغي.

ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص.

أو يمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله كما غفر للذي قال: «إذا مت فاسحقوني، ثم ذرّوني، ثم غفر الله له لخشيته» وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شك في ذلك.

والتوقف في أمر الله في الآخرة لا يمنع معاقبته في الدنيا لمنع بدعته وأن نستتيبه فإن تاب وإلا قتلناه.

وفي الحديث أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يُضحِك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد جلده من الشراب، فأتى به يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله ﷺ «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله». مجموع الفتاوى: جـ٤/ ٤٧٤.

النصوص التي تسمي بعض الذنوب كفراً

وردت نصوص من الكتاب والسنة تسمي بعض الذنوب كفرا ومن ذلك على سبيل المثال:

١- قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

٢- وقوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». صحيح البخاري: ٦٨٦٨.

٣- وقال ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

والجواب:

إن أهل السنة متفقون على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل به عن الملة بالكلية لأنه ليس بمرتد.

وإنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر ولا يستحق الخلود في النار مع الكافرين لأن الله تعالى جعل مرتكب الكبيرة من المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ [البقرة:١٧٨].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة:١٧٨].

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يُقتل بل يقام عليه الحد وأنه ليس بمرتد.

مسألة تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله

الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة. أما كونه كفراً فقد يكون:

أ- كفراً مجازياً.

ب- أو كفراً أصغر وذلك بحسب حال الحاكم وذلك حسب التفصيل الآتي:

١- إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر.

٢- إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص ويسمى كافراً كفراً مجازياً أو كفراً أصغر.

٣- إن جهل حكم الله في الواقعة مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهو مخطئ له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور.

مسألة بغض أصحاب النبي ﷺ:

يقول الإمام الطحاوي: «وبغضهم كفر ونفاق وطغيان» وهذا الكفر نظير الكفر المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]. لأنهم أفضل الأمة وخير القرون لسبقهم واختصاصهم بصحبة النبي ﷺ والجهاد معه وتحمل الشريعة عنه وتبليغها لمن بعدهم، وقد أثنى الله عليهم في محكم كتابه فيجب على المسلم أن يحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا يفرط في حب أحد منهم ولا يتبرأ من أحد منهم، وأن يبغض من يبغضهم أو بغير الحق يذكرهم، ويجب أن لا نذكرهم إلا بالخير، ونعتقد أن حبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان ومن أصول أهل السنة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ويتبرؤون من الذين يسبون الصحابة رضي الله عنهم ومن الذين يبغضونهم ويجحدون فضائلهم أو يكفرون أحداً منهم فمن جرحهم إنما يريد إبطال الكتاب والسنة فمن سب أحداً منهم كفر، لهم الفضل علينا فرض الله عنهم وأرضاهم.

الإيمان بالله

الإيمان بالله عقيدة تستقر في القلب استقراراً يلازمه ولا ينفك عنـه، والعقيـدة هي قاعدة الإيمان وأصله وبناء عليه قال العلماء بأن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

١- توحيد الإلوهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك لـه. وهو توحيد الله بأفعال العباد، وذلك تصرف جميـع العبـادة لـه سـبحانه مـن الذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية ويسمى توحيد العبادة.

٢- توحيد الربوبية: أي بيان أن الله وحده خالق كل شيء، وهو توحيد الله تعالى بأفعاله شيء بالاعتقاد بأنه الخالق، الرازق، المحيي المميت مدبر الكون وحـده لا شريك له، خالق كل شيء.

٣- توحيد الأسماء والصفات: وهو وصف الله سبحانه بما وصـف بـه نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من دون تمثيل أو تشبيه أو تعطيل.

وكل نوع من هذه الأنـواع لازم للآخـر ولا يجـوز إنكـار أي نـوع مـن هـذه الأنواع أو أي فرع من فروعها، فمن أنكر القدر مثلاً فقد أنكر توحيد الربوبية ومن أنكر توحيد الربوبية أنكر الإيمان بالله تعالى فالتوحيد بأصوله وفروعه كل متكامل.

فيجب الإيمان بربوبيته العامة التامة. فإنه لا يؤمن بأنه رب كل شـيء إلا مـن آمن أنه قادر على تلك الأشياء، ولا يؤمن بتمام ربوبيته وكمالها إلا مـن آمـن بأنـه على كل شيء قدير. «القدر جزء من الإيمان بالربوبيـة». وأكمـل التوحيـد توحيـد الألوهية وسماه العلماء توحيد العبادة.

أدلة وجود الله:

١. أدلة داخلية

٢. أدلة خارجية

أولاً : الأدلة الداخلية على وجود الله تعالى

١- الفطرة تلجأ إلى الله تعالى وتقر بربوبيته وهي أول ما خلق الإنسان ، أما الشرك فهو حادث وطارئ فالاقرار بالربوبية أمر فطري والشرك حادث طارئ.

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠].

وقال ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

أي أنه يولد ساذجاً لا يعرف توحيداً ولا شركاً.

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل «إني خلقت عبادي الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن لا يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا». غاية المرام/ ٩.

٢- الميثاق الذي أخذه الله على البشر.

قال الطحاوي:«والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق».

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢].

فقد أخبر سبحانه أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو وقد وردت أحاديث في ذلك.

منها قوله: ﷺ «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً قال: ألست بربكم قالوا بلى شهدنا». مشكاة المصابيح: ١١٧.

أقوال العلماء في قوله تعالى ﴿بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ﴾:

والمراد بهذا الإشهاد أنه فطرهم على التوحيد.

ومعنى شهدنا عند العلماء:

١. أبي ابن كعب: أي شهدنا أنك ربنا .
٢. وقال ابن عباس: أشهد بعضهم على بعض.
٣. وقيل شهدنا: من قول الملائكة.
٤. وقال السدي: هو خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته، أنهم شهدوا على إقرار بني آدم، والأول أظهر، لأن ظاهر الآية يشهد للأول.
٥. قال القرطبي هذه الآية مشكلة وقد تكلم العلماء في تأويلها. ثم قال في تفسيرها:

«إن الله أخرج من ظهر بني آدم ذريتهم ثم أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فدل على توحيده خلقه لهم لأن كل رجل بالغ يعلم بالضرورة أن له رباً واحداً».

ثانياً : الأدلة الخارجية على وجود الله تعالى

١- دليل الخلق:

أ- ما نشاهده من حدوث الحيوان والنبات والمعادن وحوادث الجو والمطر وغير ذلك، كانت معدومة ثم وجدت وما كان قابلاً للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه.

قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور:٣٥].

أي هل أحدثوا من غير محدِث أم أحدثوا أنفسهم فالشيء المحدَث لا يوجد نفسه.

ب- النطفة التي خرجت من الصلب والترائب ثم صارت في قرار مكين في ظلمات ثلاث وانقطع عنها تدبير الأبوين وسائر الخلائق...

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس٧٨:٧٩].

احتج بالإبداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الآخرة لأن كل عاقل يعلم علماً ضرورياً أن من قدر على هذه قدر على هذه.

٢- دليل التقدير:

وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا محول ولا ناقص، ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه.

أي أن الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات وأنه قدر مقاديرها قبل خلقها كما قال ﷺ «قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة

وعرشه على الماء».

فهو سبحانه قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها على ما اقتضته حكمته البالغة فكانت كما علم لأن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إيجادها إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

٣- دليل العناية والإتقان:

إن انتظام أمر العالم كله، وإحكام أمره من أن مدبره إله واحد وملك واحد ورب واحد لا إله للخلق غيره ولا رب لهم سواه.

وقصة أبي حنيفة: مع أهل الكلام مشهورة عن قصة السفينة في دجلة تذهب وتمتلئ بالطعام والمتاع وغيره بنفسها وتعود بنفسها إلخ. فقالوا هذا محال لا يمكن أبداً فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله.

وحدانية الله

التوحيد في القرآن الكريم

المتدبر للقرآن الكريم يجد أن القضية الأساسية التي تناولها هي التوحيد ويشمل ذلك:

أ- التوحيد العلمي الخبري: وهو الخبر عن أسماء الله وصفاته وأفعاله.

ب- التوحيد الإرادي الطلبي: وهو الدعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه.

ويقتضي ذلك:

أ- أن للتوحيد حقوق ومكملات وهي: الأمر والنهي والإلزام بطاعته.

ب- وأن للملتزم بالتوحيد جزاء: وهو إكرامه لأهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيد.

جـ- وأن من خرج عن التوحيد له جزاء: وهو ما أخبر به عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ توحيد ربوبية.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ توحيد أسماء وصفات.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ توحيد ربوبية.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توحيد ألوهية.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل

التوحيد الذين أنعم عليهم. وهذا توحيد ألوهية.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد.

٢- شهادة الله لنفسه بالوحدانية:

فقد شهد الله لنفسه بهذا التوحيد وشهدت به ملائكته وأنبياؤه ورسله.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران ١٨: ١٩].

تضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد والرد على جميع طوائف الضلال فتضمنت أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها من أجل شاهد بأجل مشهود به.

قال السلف: (شهد) لها أربع مراتب:

المرتبة الأولى:

مرتبة العلم لأن الشهادة تضمنتها ضرورة وإلا كان الشاهد شاهداً بما لا علم له به.

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزُخرُف:٨٦].

وقال ﷺ «على مثلها فاشهد» وأشار إلى الشمس.

المرتبة الثانية:

مرتبة التكلم والخبر.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزُخرُف:١٩].

فجعل ذلك منهم شهادة وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ولم يؤدوها عند غيرهم.

المرتبة الثالثة:

مرتبة الإعلام والإخبار وتقسم إلى نوعين:

أ- إعلام بالقول.

ب- إعلام بالفعل.

فالإعلام تارة يكون بالقول وتارة يكون بالفعل، فالقول ما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه.

وأما الفعل فهو: شهد الله بتدبيره العجيب وأموره المحكمة عند خلقه الخلق أنه لا إله إلا هو.

«أي أن كل شيء خلقه الله في هذا الكون يدل دلالة واضحة على أن خالقها إله واحد».

كما قال الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

المرتبة الرابعة:

مرتبة الأمر بذلك والإلزام به.

وهذا ما تدل عليه الشهادة ضمناً فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به وقضى وأمر وألزم عباده به كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل:٥١].

أما وجه استلزام شهادة الأمر والإلزام لأنه سبحانه شهد أنه لا إله إلا هو فقد أمر وبين وأعلم وحكم وقضى أن ما سواه ليس بإله، وأن إلهية ما سواه باطلة فلا تستحق العبادة وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلهاً والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً «أي أن الله وحده المستحق للعبادة وفي هذا أمر للعباد وإلزامهم بأداء ما يستحقه الرب تعالى عليهم وهذا هو حق الرب على العباد فلا يجوز أن يتوجهوا بالعبادة لغيره من الآلهة المزعومة».

صفات الله

اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

واتفقوا أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، وأنه لا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]. وفي هذا راد على الممثلة والمشبهة .

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وفي هذا رد على المعطلة، ومعنى الآية الكريمة: نفى المثل واثبات الوصف.

قال الإمام أبو حنيفة: لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا. ثبت بالضرورة وجود موجودين:

أحدهما	الثاني
واجب «الوجود»	ممكن «الوجود»
قديم	حادث
غني	فقير
خالق	مخلوق

وكلاهما موجود ثابت، وأن أحدهما ليس مماثلاً للآخر في حقيقته حتى لا يجتمع الضدان إذا تماثلا وهذا متفق بصريح العقل ونصوص الشرع. فهما متفقان من وجه ومختلفان من وجه لأنهما وإن اتفقا في المسمى إلا أن الله مختص بوجوده

وعلمه وقدرته وسائر صفاته والعبد لا يشاركه في شيء من ذلك.

والعبد مختص بوجوده وعلمه ومقدرته والله تعالى منزه عن مشاركة العبد في خصائصه.

«أي أن هناك أسماء وصفات مشتركة بين الله والعبد يتفقان من حيث الاسم ويختلفان من حيث الحقيقة».

العجز عن إدراك الحقيقة في صفات الله

فالعجز عن إدراك الحقيقة في صفات الله لأن الإدراك معناه الإحاطة، والله محيط بخلقه، والمخلوق محاط به، فلا يمكن للمخلوق العاجز الصغير أن يحيط بالخالق القوى والكبير.

قال الإمام الطحاوى: « لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام ».

أي أنه لا ينتهي إلى الله وهم ولا يحيط به علم، والله تعالى لا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالى، وإنما نعرفه بصفاته وهو أنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الحشر٢٣:٢٤].

كمال صفات الله

قال الإمام الطحاوى (ولا شيء يعجزه) وذلك لكمالاته التي لا تنتهي والتي منها:

١. كمال قدرته ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [الطلاق:١٢] ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴾ [ق:٣٨].

٢. كمال عدله ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف:٤٩].

٣. كمال حياته وقيوميته ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾[البقرة:٢٥٥].

٤. كمال جلاله وعظمته وكبريائه ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣].

طريقة القرآن في الإثبات والنفي.

يأتي الإثبات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً عكس طريقة أهل الكلام المذموم مثل قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

ففي هذا الإثبات ما يقرر معنى النفي ففهم أن المراد انفراد الله بصفات الكمال لذا كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به لأن المخلوق استفاد صفة الكمال من خالقه وربه ومدبره وكل نقص أو عيب فإنه يجب نفيه عن الرب.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ ﴾ [النحل:٦٠].

وجوب الاتباع في الصفات:

يجب في الصفات ما يلى:

١. ما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه.

٢. نثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني وننفي ما نفته نصوصها من الألفاظ والمعاني.

٣. الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها، لا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها فإن كان معنى صحيحاً قُبِل لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة – التي لم تذكر نصاً في القرآن والسنة – إلا عند الحاجة.

٤. لا يجوز أن نعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها لأن صفاته سبحانه صفات كمال وفقدها صفة نقص مثل: الخلق، التصوير، الإحياء، الإماتة، الاستواء.

صفات الله تعالى:

صفات الله كثيرة وهي صفات كمال تليق بجلالة سبحانه ونود أن نتحدث عن بعض هذه الصفات وذلك كالآتي:

١- صفة الكلام، صفة الإرادة، صفة الاستواء على العرش، صفتا الإحاطة والفوقية.

صفة الكلام

١. الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال وعدم التكلم من أوصاف النقص.

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ﴾ [الأعراف:١٤٨].

٢. لم يزل الله متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء.

٣. وهو يتكلم بصوت يسمع.

٤. أن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً.

٥. أكد الله تعالى التكليم بالمصدر المثبت للحقيقة.

قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]. ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣].

صفة الإرادة

١. لا يكون إلا ما يريده الله وفي هذا رد على القدرية والمعتزلة الذين زعموا أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم والكافر أراد الكفر وهذا قول مردود لأنه مخالف للكتاب والسنة والمعقول والصحيح.

٢. أهل السنة يقولون الإرادة في كتاب الله نوعان:

أ- إرادة كونية: وهي الإرادة في قولهم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث، والدليل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ب- الإرادة الشرعية مثل قول العامة لمن يفعل القبائح (وهذا يفعل ما لا يريده الله) أي لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به وهذا كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا

عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧].

فالله تعالى إذا أمر العباد بأمر فقد يريد إعانة المأمور على ما أمر به وقد لا يريد ذلك، وإن كان مريداً منه فعله. فإن أراد الإنسان أن يفعل فعلاً فهذه الإرادة معلقة بفعله وإن أراد من غيره أن يفعل فعلاً فهذه الإرادة بفعل الغير.

صفة الاستواء على العرش

قال الطحاوي: والعرش والكرسي حق. وقد اعتمد في ذلك على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وأقوال السلف الصالح.

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [النمل:٢٦].

وفي دعاء الكرب المروي في الصحيح «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم». صحيح البخاري: ٦٣٤٦

أما الكرسي: قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [البقرة:٢٥٥].

قال ابن عباس: الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى.

قال الطحاوي: وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه.

وهذا يؤيده قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

فالله مستغن عن العرش وما دون العرش ليبين الله خلقه للعرش واستواءه عليه ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته.

وكون الله فوق السافل لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي محيطاً به، حاملاً له ولا يكون الأعلى مفتقراً إلى الأسفل.

رد الإمام مالك: عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

كيف استوى؟ فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول.

صفتا الإحاطة والفوقية.

قال الطحاوى: محيط بكل شيء وفوقه «أي أن الله تعالى محيط بكل شيء».

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج:٢٠].

وقال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فُصِّلَت:٥٤].

أما الفوقية فقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

وقال سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠].

وقال ﷺ في قصة سعد بن معاذ يوم بني قريظة «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات».

وزينب كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات».

صفة العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه لأنه لا يمكن الإقرار بوجود الله وتصديق رسله والإيمان بكتابه وبما جاء به رسله إلا بذلك.

تضافرت النصوص الشرعية والأدلة العقلية على فوقية الله تعالى وعلوه ومن

ذلك: التصريح بـالعروج لـه، والتـصريح بالـصعود إليـه. التـصريح برفـع بعـض المخلوقات إليه، التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلـو ذاتـاً وقـدراً وشرفاً.

التـصريح بتنزيـل الكتـاب منـه، التـصريح بأنـه تعـالى في الـسماء، التـصريح بالاستواء مقروناً بأداة (على) مختصاً بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات، التـصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى، التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا.

صفة اليد

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة:٦٤].

وقال تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥].

وغيرها من الأدلة التي وردت في القرآن وقد تواتر في السنن مجيء اليد في حديث النبي ﷺ.

نفهم من هذا الكلام أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله.

وأنه سبحانه خلق آدم بيده دون الملائكة وإبليس.

وأنه سبحانه يقبض الأرض ويطوي السماء بيده اليمنى.

وأن يديه مبسوطتان ومعنى بسطهما بذل الجود وسعة العطاء لما كان الجود في الغالب يكون ببسط اليد ومدها.

ويد الله ليست من جنس أيدي المخلوقين وليست جارحة.

تأويل اليد عند من يثبت لله سبع صفات وما هو الرد عليهم:

يقولون إن اليد بمعنى النعمة والعطية سمي الشيء باسم سببه كما يسمى المطر والنبات سماء ومنه قولهم: لفلان أيادٍ عندي، ومنه قول أبي طالب لما فقد النبي ﷺ:

يا رب رد راكبي محمداً ... رده علي واصطنع عندي يدا

ومنه قول زياد لمعاوية: إني قد أمسكت العراق بإحدى يدي، ويدي الأخرى

فارغة يريد نصف قدرته ضبط العراق.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١]. إلى قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [آل عمران:١٨٢]. لأن بعض ما قدموه كلام تكلموا به.

والعرب تقول: يداك أوكتا وفوك نفخ، توبيخاً لكل من جر على نفسه جريرة، لأن أول ما قيل هذا لمن فعل بيديه وفمه.

الرد:

لا ينكر ابن تيمية لغة العرب، لأن القرآن نزل بها في هذا كله إلا أن المتأولين للصفات تأولوا قوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ .

وقالوا: بقدرته وقالوا اللفظ كناية عن نفس الجود من غير أن يكون هناك يد، حقيقية وبناء عليه رد ابن تيمية عليهم بالمقامات التالية:

المقام الأول:

أن لفظ اليدين بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة لما يلي:

أ- أن العرب استعملوا الواحدة في الجمع كقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر:٢].

ب- واستعملوا لفظ الجمع في الواحد كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

ج- واستعملوا لفظ الجمع في الاثنين كقوله: ﴿صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤].

أما استعمال الواحد في الاثنين والاثنين في الواحد فلا أصل له لأن هـذه الألفاظ عدد لا يجوز أن يقـول عنـدي رجـل ويعـني رجلـين ولا عنـدي رجلان وهو يعني به الجنس «رجل» فقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. لا يجوز أن يريد به القدرة لأن القدرة صفة واحد ولا يجوز أن يعبر بـالاثنين عـن الواحد.

- ولا يجوز أن يراد به النعمة لأن نعم الله لا تحصى فـلا يجـوز أن يعـبر عـن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية.
- ولا يجوز أن يكون (لما خلقت أنا) أما إذا أضافوا الفعل إلى الفعـل وعـدى الفعل إلى اليد بحرف الباء كقوله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فهو نص في أنـه فعـل الفعل بيده.

والآيات لا تقبل المجاز البتة من جهة نفس اللغة.

«استخدم القرآن لفظ خلقت بيـدي للدلالـة علـى أن الله سـبحانه خلـق آدم بيديه حقيقة ولا يجوز أن نقول بأنه ليس لله يد وقد وقع الفعل بغيرها لأن الآيـة لا تقبل المجاز قطعياً من جهة اللغة وعندما أدخل الباء على قوله بيـدي تـبين علـى أن الفعل كان بيديه لا بأي شيء أخر».

﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ خلقت مفرد وبيدي مثنى فإذا جاء المفرد مع المثنـى لا بـد أن يكون حقيقة ولا يجوز صرفه إلى المجاز.

المقام الثاني:

هب أنه يجوز أن يعني باليد حقيقة اليد وأن يعني بها القدرة والنعمـة، ويجعـل ذكرها كناية عن الفعل لكن ما الموجـب لـصرفه عـن الحقيقـة وقـالوا إن الموجـب لصرفه عن الحقيقة لأن اليد جارحه. وذلك ممتنع عن الله سبحانه.

الرد:

لا يجوز وصفه بأن له يداً من جنس أيدي المخلوقين ولكن له يد تناسب ذاته تستحق من صفات الكمال ما تستحقه الذات والمعنى الذي يستحقه المخلوق منتف عنه. وإنما حقيقة اللفظ وظاهره يد يستحقها الخالق كالعلم والقدرة بل كالذات والوجود.

المقام الثالث:

لم يرد في كتاب الله أو في سنة رسوله عن أحد من أئمة المسلمين أنهم قالوا المراد باليد خلاف ظاهره ولا يوجد في كتاب الله آية تدل على انتفاء وصفه باليد دلالة ظاهرة أو دلالة خفية والآيات مثل (قل هو الله أحد) ومثل (ليس كمثله شيء). آيات تدل على انتفاء التجسيم والتشبيه.

أما انتفاء يد تليق بجلاله فليس في الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه ولا يوجد في العقل ما يدل دلالة ظاهرة أن الباري لا يد له البتة تليق بجلاله ولا تناسب المحدثات.

فإذا لم يكن في السمع ولا في العقل ما ينفي حقيقة اليد بل الكتاب والسنة مليئان بذكر اليد ولقد بقي هذا فهم السلف وقالوا أمِرُّوها كما جاءت لأنهم أعلم بلغة العرب ولأنهم أبناء المهاجرين والأنصار.

أما بدعة جهم بن صفوان وبشر بن غياث فقد نفوا فيها الصفات بحجة التشبيه والتجسيم وهذا اعتقاد ظاهر في الضلال ولا يبين ذلك ولا يوضحه.

المقام الرابع:

هناك أدلة قاطعة ظاهرة تبين أن لله يدين حقيقة منها:

تفضيله لآدم مما استوجب سجود الملائكة له وعدم التكبر عليه فلو كان المـراد أنه خلقه بقدرته أو بنعمته أو مجرد إضافة خلقه إليه لشاركه في ذلك إبلـيس وجميـع المخلوقات. وأثاروا شبه وردها:

الشبهة الأولى:

وأثاروا شبهة جديدة فقالوا إضافة خلق آدم إلى الله على سبيل التشريف مثـل إضافة (ناقة الله وبيت الله).

والرد:

إن الإضافة لا تكون تشريفاً حتى يكون في المضاف معنى أفرده عن غيره، فلو لم يكن في الناقة والبيت من الآيات البينات ما امتازا به على جميع النوق والبيوت لما استحقا هذه الإضافة والأمر كذلك بالنسبة لصفة اليد فإضـافة خلـق آدم إليـه أنـه خلقه بيده توجب أن يكون خلقه بيده وأنه فعله بيده.

أما غير آدم فقد خلقه بقوله (كن فيكون) كما جاءت به الآثار.

فجميع المخلوقات خلقها بقوله كن فيكون، أما آدم فخلقه بيـده لـذا اسـتحق التشريف والتكريم.

الشبهة الثانية:

وقالوا: بيده الملك أو عملته يداك المراد بها إثبات القدرة لله وليس صفة اليد.

الرد: أما قوله تعالى بيده الملك أو عملته يداك فهما شيئان:

أحدهما: إثبات اليد.

والثاني: إضافة الملك والعمل إليهما.

والرد:

أنه لا يطبق هذا الكلام إلا لجنس له يد حقيقية ولا يقال يد الهواء ولا يد الماء، وهبْ أن قوله بيده الملك قد علم منه أن المراد بقدرته لكن لا يجوز ذلك إلا لمن له يد حقيقية.

«وأنه رد: أنه لا يطلق هذا الكلام إلا لمن له يد حقيقية فلا يقال يد الماء أو يد الهواء وفي هذا إثبات اليد لله حقيقة لا مجازاً».

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾؟

الفرق من وجهين:

أحدهما: أنه في الآية الأولى أضاف الفعل إلى الله وبين أنه خلقه بيده وفي الآية الثانية أضاف الفعل إلى الأيدي.

الثاني: أن لغة العرب أنهم يضعون اسم الجمع موضع التثنية إذا أمن اللبس.

كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨].

وأما السنة فكثيرة جداً مثل قوله ﷺ «والمقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

وقال ﷺ «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته بيده في السفر». صحيح البخاري: ٦٥٢٠.

وقال ﷺ «يأخذ الرب عز وجل سماواته وأرضه بيديه-وجعل يقبض يديه ويبسطها-ويقول أنا الرحمن حتى نظرت إلى المنبر يتحرك أسفل منه حتى أني أقول أساقط برسول الله».

وفي رواية أنه قرأ هذه الآية على المنبر ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ

جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ ﴾ [الزُّمَر:٦٧]. قال: (يقول أنا الله الجبار).

وفي الحديث «أن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته». مجموع فتاوى ابن باز ٢٤/ ٢٧٩.

وفي الحديث « لما خلق الله آدم ومسح ظهره بيمينه استخرج منه ذريته فقال هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره بيده الأخرى فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون».

وهذه الأحاديث تلقتها الأمة بالقبول والتصديق.

تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله

إذا وصف الله نفسه بصفة أو وصفه بها رسوله ﷺ أو وصفه بها المؤمنون الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم... فهل يجوز أن نصرفها عن ظاهرها اللائق بجلاله سبحانه وتعالى وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر ومجاز يخالف الحقيقة. قال العلماء:

يجوز إذا تحقق فيه أربعة أشياء:

أحدها: أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي عند العرب لأن الكتاب والسنة في كلام السلف جاءوا بلسان العرب ولا يجوز أن يراد منه خلاف لسان العرب حتى لا يفسر كل مبطل أي لفظ بأي معنى ناسخ له.

الثاني: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه لأن اللفظ إذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة وفي معنى بطريق المجاز لم يجز حمله على المجاز بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء.

الثالث: أنه لابد أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض، أما إذا قام دليل قرآني يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها، ثم إن كان هذا الدليل نصاً لم يلتفت إلى نقيضه وإن كان ظاهراً فلابد من الترجيح.

الرابع: أن الرسول ﷺ إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته فلا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته وإنما أراد مجازه. سواء عينه أو لم يعينه خاصة فيما يتعلق بالاعتقاد ولأن الله تعالى جعل القرآن نوراً وهدى وأرسل الرسل لتبين للناس ما نزل إليهم ولتحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

وهذا الرسول بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات ثم أخذ عنه مـن هم أعمق الناس علماً وأنصحهم للأمـة وأبيـنهم للـسنة فـلا يجـوز أن يـتكلم هـو وصحابته بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلاً يمنع من حملـه علـى ظاهره... وهذا الدليل إما أن يكون:

١. عقلياً ظاهراً:

مثل: قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل:٢٣]. أي أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها من الملوك.

وكذلك: قوله تعالى ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزُّمَر:٦٢]. فالخـالق لا يـدخل في هذا العموم.

٢. سمعياً وظاهراً:

مثل دلالات الكتاب والـسنة فـلا يجـوز أن يحـال النـاس إلى دليـل خفـي لا يستنبطه إلا عدد قليل من الناس، لأن الله أوجب على النـاس أن يتـدبروا القـرآن ويعقلوه ويتفكروا فيه ويعتقدوا بموجبه حسب ظاهره وإلا لو قصد غير ما خاطبهم به لكان تدليساً وتلبيساً وكان نقيض البيان والهدى وكـان ألغـازاً وأحـاجي ولـيس هدى وبياناً.

وإذا نظرنا إلى الخطاب نجد ظاهره أقوى بـدرجات كـثيرة مـن دلالـة الـدليل الخفي..

الإيمان بالملائكة

معنى الملائكة لغة: جمع ملك، الملك مشتق من الألوكة وهي الرسالة.

معنى الملائكة اصطلاحاً: مخلوقات نورانية مجبولة على طاعة الله وعبادته قائمة بالوظائف التي كلفهم الله بها قادرة على التشكيل بأشكال مختلفة.

- لفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر الله فليس لهم من الأمر شيء بل الأمر كله لله الواحد القهار.
- نؤمن بالملائكة عن طريق النقل الصحيح من الكتاب والسنة وهذا لا يخالف العقل ولا يناقضه.
- الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان ومعنى الإيمان بهم هو التصديق الجازم بأن لله تعالى ملائكة مخلوقين من نور موجودين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولا يتنزلون إلا بأمره ولا تفعل شيئاً إلا من بعد إذنه.

حكم الإيمان بالملائكة واجب:

الأدلة على وجوب الإيمان بالملائكة:

أولاً: من القرآن الكريم:

أ- قوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ۞﴾ [البقرة: ١٧٧].

ب- قوله تعالى: ﴿۞ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ

﴿وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

جـ- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

ثانياً من السنة:

أ- حديث جبريل عليه السلام عندما سأل الرسول ﷺ عن الإيمان قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره).

البخاري ١/ ٩ أو ٢٠ ومسلم: ١/ ٣٧

أنواع الملائكة وأهم أعمالها

١- ملك موكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام ويسمى الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾

[الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤]

٢- ملائكة موكلة بالقطر وتصريفه حيث يشاء الله، قال ﷺ: (بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: إسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت الماء كله... الحديث)

مسلم ٤/٢٢٨٨

٣- حملة العرش قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

٤- ملك موكل بالصور، ينفخ فيه بأمر الله تعالى وهو إسرافيل عليه السلام قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩].

٥- ملائكة موكلة بقبض الأرواح وعلى رأسهم ملك الموت ويسمى عند البعض عزرائيل قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١١].

٦- خزنة الجنة وعلى رأسهم رضوان عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزُّمَر: ٧٣].

٧- خزنة النار وهم الزبانية وعدد رؤسائهم تسعة عشر وفي مقدمتهم مالك عليه السلام قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزُّخرُف: ٧٧] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ﴾ [المدثر: ٢٧ - ٣١].

٨- ملائكة موكلة بحفظ العبد في جميع أحواله وهم المعقبات، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١].

٩- ملائكة موكلة بحفظ أعمال العبد من خير وشر وهم الكرام الكاتبون ويسميهم البعض ملك الحسنات وملك السئيات ويسميهم البعض الآخر برقيب وعتيد. قال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

علاقة الملائكة بالبشر

المتبع والمتدبر لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يجد أن الملائكة موكلة بأصناف المخلوقات وأن لهم علاقة وثيقة بالإنسان من حين كونه نطفة وحتى بعد دخوله الجنة أو النار وقد لخص ابن القيم رحمه الله هذه العلاقة فقال: «وُكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النظفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظه وملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة ووكل بالسؤال في القبر ملائكة».

ويقول في موضع آخر ومن علاقتهم بالبشر أنهم موكلون بالإنسان من حين كونه نظفة إلى آخر أمره لهم وله شأن آخر، فإنهم موكلون بتخليقه ونقله من طور إلى طور، وتصويره، وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه، وعمله وأجله، وشقاوته، وسعادته، وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفطه، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث، وهم الموكلون لعمل آلات النعيم والعذاب، وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله والمعلمون له ما ينفعه والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة وهم الذين يُرُونه في منافه ما يخافه ليحذره وما يحبه ليقوى قلبه، ويزداد شكراً، وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونه إليه وينهونه عن الشر، ويحذرونه منه فهم أولياؤه وأنصاره وحفظته ومعلموه وناصحوه، والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه، ويصلون عليه ما دام يُعلِّم الناس الخير ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه وعند موته ويوم بعثه وهم الذين يزهدونه في الدنيا، ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع وهم الذين يسعون

في مصالح دنياه وآخرته.

فهم مسخرون لتهيئة الجنة للمؤمنين وعمارتها وغراسها وعمل الأنهار فيها وهم المسخرون لتهيئة النار للكافرين لايقادها وتعذيب أهلها وهم ملائكة العذاب. فالملائكة أعظم جنود الله تعالى.

صفات الملائكة

١ – مخلوقات نورانية.

٢ – لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة.

٣– لا يأكلون ولا يشربون.

(فقربه إليهم قال ألا تأكلون....)

٤ – لا يرون على صورتهم الملكية.

– يمكن رؤيتهم في حال تشكلهم وظهورهم على غير صورتهم الملكية.

– يزعم البعض أنه يشاهدهم عياناً ويسمع أصواتهم وهذا لا يجوز.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾.

– الأنبياء يرون الملائكة– رأى جبريل على صورته الحقيقية مرتين.

– بعض المخلوقات ترى الملائكة.

٥ – قادرون على التشكل:

– في قصة إبراهيم عليه السلام الملائكة على شكل رجال.

– جبريل عليه السلام أتى الرسول ﷺ بصور إنسية مختلفة.

٦ – يتمتعون بقدرات خارقة مثل:

حملة العرش – صاحب الصور – تدمير قوم لوط – سرعة فائقة.

٧– مفطورون على الطاعة والتسبيح.

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

- تسبيحهم- قيل صلاة- قيل كلام (أي الكلام أفضل؟ قال ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده).
- ليسوا مكلفين عند بعض العلماء وطرفريق آخر يقول: إنهم مكلفون والدليل ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ – وقصة الأمر بالسجود لآدم.

٨- معصومون من الخطأ:

الجمور: معصومون للأدلة الكثيرة.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾.

(مفهوم المخالفة لمعصية آدم فيها براءة وعصمة).

البعض: في قصة آدم دليل إدانة لهم وليس براءة وعصمة وذلك من وجوه.

أ- أتجعل فيها- اعتراض على الله تعالى وهذا من أعظم الذنوب.

ب- اغتابوا آدم وذريته والغيبة من الكبائر.

جـ- أنهم مدحوا أنفسهم بعد طعنهم في بني آدم وتزكية النفس مذمومة ويحمل أن إعجاب بالنفس وهو مذموم.

د- اعتذورا والاعتذار لا يكون إلا عن خطأ.

هـ- قوله ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يفهم أنهم كانوا كاذبين.

و- قوله: يفهم منه أنهم كانوا يشكون في علم الله.

ز- طعنهم في بني آدم قائم على الظن المخفي وهذا لا يجوز.

ح- قصة الملكية هاروت وماروت.

ط- أن من الملائكة من سيكون من أصحاب النار.

الرد عليهم:

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾.

- إن هذا الاستفهام يفيد الاستفسار والاستخبار ولا يفيد المعارضة والاستنكار.
- أن الحوار من باب تمثيل المعاني المجردة بصورة حسية مثل قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أو أن السؤال على وجه المبالغة في تعظيم الله فإن العبد المخلص لشده حبه لمولاه يكره أن يكون له عبد يعصيه.
- بالنسبة للغيبة فليس كل ذكر للإنسان في غيابه بما يسؤوه يعد غيبة وهناك حالات رخضوا فيها الغيبة....
- مدح النفس فلا يعد مظهراً من مظاهر العجب والكبر لقوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ لم يخطر في بالهم القدح.
- قولهم ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ فلا يستدعى وجود خطأ بدر منهم وإنا اعتراف بعظمة الله.

- أما الاتهام بالظن فقولهم هذا مردود، لعلمهم بمركبات آدم.
- قصة هاروت وماروت فهى من الإسرائيليات.
- الزهرة مخلوقة قبل خلق الإنسان وما روى عنها من أساطير الأولين.
- نعيذ اللائكة من تكذيب الملائكة.
- إبليس لم يكن من الملائكة المقربين.
- الملائكة خزنة النار والمتصرفون منها المدبرون لأمرها.
- قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ ﴾ فهذا من قبيل الوعيد وليس من لوازمه أنهم يتصور منهم إدعاء الألوهية.

أصناف الملائكة ووظائفهم

١- ملائكة العرش.

أ- حملة العرش:

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ .

ب- الحافون بالعرش:

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

- حملة العرش أعز وأكرم الملائكة.
- مهمتهم الإمساك بهذا الوجود وتدبير أمره.
- تسبيح الباري سبحانه.
- الاستغفار للمؤمنين
- القوانين والأسباب مخلوقات من الملائكة موكلة بها وموكلة برعايتها.

٢- أكابر الملائكة:

جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت.

وأولهم جبريل ومن صفاته :

- صاحب الوحي.
- الروح القدس.

- ذكره الله بعد لفظ الجلالة.
- مدحه الله بست صفات.
- اليهود يكرهون جبريل بسبب أنه نقل النبوة إلى غيرهم وأنه يطلع على أسرارهم ولأنه يحاربهم ويقاتلهم.

إسرافيل:

- موكل بالصور.
- ينفخ في الصور مرتين.
- لا يزال مترقباً أمر ربه بالنفخ في الصور.

ميكائيل:

- موكل بالفطر والنابت وهو من أشرف الملائكة المقربين وله أعوان يأمرهم بأمر الله، يصرفون الريح والسحاب.
- عدد ذكره في عدد من الأحاديث الشريفة.

(ليس بعام أمطر من عام...)

ملك الموت:

- لم يصرح القرآن باسمه

سمى بعزرائيل.

- له أعوان منهم النازعات والناشطات.
- منكر ونكير....

ملائكة الجنة:

رئيسهم رضوان- مهمتهم استقبال أهل الجنة واكرامهم- وضعه المؤمنين وأسباغ النع عليهم بأمر الله.

ملائكة النار:

رئيسهم مالك- شديدون أغلاظ الزبانية لا يحصون من كثرتهم ٧٠,٠٠٠ × ٧٠,٠٠٠.

الملائكة الموكلون ببنى آدم:

- موكلون ببداية خلق الإنسان- نفخ الروح.
- المعقبات موكلون بحفظ العبد في حله وترحاله وفي يقظته ونومه.
- ومنهم الكرام الكاتبون.
- موكلون بتسديد الإنسان وهدايته وإرشاده.
- ابتدائ مجالس الذكر.
- ومنهم ملائكة الموت
- تلخيص مهمات الملاكئة
- قتالهم إلى جانب المؤمنين وللعلماء أراء في ذلك:

الفريق الأول: مشاركة معنوية.

الفريق الثاني: مشاركة فعلية.

ملائكة السماء الموكلون بأحوال الكون:

- مرسلات لتدبير أمر الخلق.
- العاصفات لقصف بروح الكفار.
- الناشرات – نشر السحاب.
- الفراقات تفرق بين الحق والباطل.
- الصافات: في هيئة صفوف في السماء أو اتصف أجنحتها في الهواء.
- الزاجرات: تزجر السحاب.
- التاليات ذكرا: تقرأ كتب الله.

- أن الله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يؤوده حفظهما وغير محتاج إلى وساطتهم وسببتهم في شيء ولكن شاء الله أن يظهر سلطانه وقوته لعباده بالشكل الذي ألفوه في حياتهم...

المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر

الفريق الأول: صالحو البشر أفضل.

الأدلة:

١- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾.

رد المعتزلة: إن السجود كان امتثالاً لأمر الله وتعظيماً لآدم وليس من لوازم ذلك أن يكون أفضل من الملائكة.

٢- ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ والعالم أفضل من غيره.

الرد: أن الآية تدل على الفضل لأعلى التفضيل- وليس الخضر أفضل من موسى.

٣- ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ والملائكة من جملة العالمين.

٤- أن طاعة الملائكة تقع منهم بالاضطرار لا بالاختيار.

أدلة القائلين الفريق الثاني:

الملائكة أفضل:

١- الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان وليس صالحو البشر كذلك.

٢- اطرد تقديم ذكر الملائكة على ذكر الأنبياء والتقديم الطرد يقتضى التفضيل ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾.

٣- ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ قول الرسول ﷺ.

٤- قول الله تعالى في شأن الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ .

٥- الإقامة على نوع واحد من العبادة يورث المشقة والملل وهذا لا يستطيعه إلا الملائكة.

٦- أن عبادة الملائكة دائمة غير منقطعة وليس كذلك البشر.

- قول الرسول في الحديث القدسي: (ذكرته في ملأ خير منهم).
- الرسل يستغفرون لأنفسهم والملائكة تستغفر للمؤمنين.
- الملائكة رسل الله إلى الأنبياء.
- الرسل يتعلمون من الملائكة
- آثار الإيمان بالملائكة والجن.

المفاضلة بين الملائكة وبين صالحي البشر

أهل السنة يفضلون صالح البشر أو الأنبياء على الملائكة.

ويعتبرون: هذه المسألة من المسائل قليلة الثمرة وأنها من باب من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه.

الواجب علينا أن نؤمن بالملائكة والنبيين وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل، إذ لو كان هذا من الواجبات لبيّن نصاً، والله أكمل لنا الدين.

قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣].

وفي الحديث: «أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها».

الإيمان بالكتب السماوية

١. نؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، التوراة والإنجيل والزبور.

٢. نؤمن بأن لله كتباً أخرى أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى.

٣. نؤمن بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء.

قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾ [البقرة:١٣٦].

وقال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [البقرة:٢١٣].

٤. الإيمان بالقرآن والإقرار به واتباع ما فيه.

القرآن كلام الله تعالى

قال الإمام الطحاوي: ولا تجادل في القرآن وتشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين فعلمه سيد المرسلين محمداً ﷺ.

١. أي لا تقل فيه كما يقول أهل الزيغ، أو أنا لا نجادل في القراءات الثابتة بل نقرؤه بكل ما ثبت وصح، وكل من المعنيين حق.

٢. والقرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود فهو المتكلم به فمنه بدأ لا من بعض المخلوقات.

قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزُّمَر:١].

وإليه يعود لأنه يرفع من الصدور والمصاحف، كما جاء في الآثار.

٣. التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة فإنه سبحانه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء ولا يزال كذلك. «أي أن كلام الله أزلي لا ينقطع».

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧].

٤. يحرم على الجنب والمحدث مسه لأنه كلام الله كما يحرم على الجنب قراءة القرآن.

٥. قال أبو حنيفة في الفقه الأكبر: هو كلام الله محفوظ في الصدور مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف.

س: كيف ترد على من يقول بأن القرآن عبارة عن كلام الله؟

ج: لا يجوز أن يقال: ليس ما في المصحف كلام الله ولا ما قرأ القارئ كلام الله لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

وهو لا يسمع كلام الله من الله وإنما يسمعه من مبلغه عن الله وفي هذا رد على من يقول بأن المسموع ليس كلام الله لأنه تعالى لم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله.

شبهة المعتزلة والرد عليها

قال المعتزلة:

١. إن القرآن لم يَبْدُ من الله وأنه مخلوق، خلقه الله منفصلاً عنه، وأن إضافته إليه إضافة تشريف كبيت الله وناقة الله.

الرد:-

في هذا تحريف الكلم عن مواضعه وقولهم باطل لأن المضاف إلى الله تعالى معان وأعيان.

إضافة الأعيان إلى الله للتشريف وهي مخلوقة له كبيت الله وناقة الله.

أما إضافة المعاني: كعلم الله وقدرته وكلامه وحياته فإن هذا كله من صفاته ولا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقاً.

٢. استدل المعتزلة بقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦].

والقرآن شيء فيكون داخلاً في عموم كل فيكون مخلوقاً.

الرد:

عموم (كل) في كل موضع بحسبه ويعرف ذلك بالقرآن مثل قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف:٢٥]. ومساكنهم شيء ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح، والمراد تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير.

كذلك قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٢٣]. المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك.

والمراد من قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖۖ﴾ [الزُمَر:٦٢]. أي كل شيء مخلوق ولا يدخل في العموم الخالق تعالى وصفاته.

٣. استدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [الزُّخـرُف:٣]. الرد: فإن كلمة جعل لها معنيان:

الأول: إذا تعدت إلى مفعول واحد تكون بمعنى خلق مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام:١]. أي خلق.

الثاني: إذا تعدت إلى مفعولين لم تكن بمعنى خلق مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [البقـرة:٢٢٤]. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾ [الحِجر:٩١].

٤. استدلوا بقوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص:٣٠]. على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة فسمعه موسى منها.

الرد:

لو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله لكان قول فرعون حق ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤] صدقاً.

٥. استدلوا بقوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [التكوير:١٩].

وهذا يدل على أن الرسول أحدثه، إما جبريل أو محمد ﷺ.

الرد:

إن الرسول معرف أنه مبلغ عن مرسله لأنه لم يقل إنه قول ملك أو نبي، نعلم أنه بلغه عمن أرسله به لا أنه أنشأه من جهة نفسه.

وأيضاً الرسول في إحدى الآيتين جبريل وفي الأخرى محمد ﷺ وفي إضافة كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ لأنه لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر.

فالله سبحانه كفرّ من جعل القرآن قول البشر. ومحمد ﷺ بشر ولا فرق بين أن يقول إنه قول بشر أو جني أو ملك.

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل

حكم الإيمان بالرسل واجب وهو الركن الرابع من أركان العقيدة الإسلامية.

والأدلة:

١. من النقل

أ- من القرآن:

قال تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

ب- من السنة:

حديث جبريل: عن عمر بن الخطاب قال: قال «فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره». صحيح ابن ماجه: ٥٣.

٢. من العقل: أن الإيمان بالله مستلزم للإيمان بالرسل

أ. لأن كل ملك لا بد له من رسل يبلغون شرعه، فإرسال الرسل موجب كمال ملكه وسلطانه.

ب. لأن الفطرة تشوش عليها الغرائز وتميل بها الأهواء فالرسالة هي المنقذ لها من الضلال لذا سمى الله وحيه نوراً.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

ج. الإنسان مضطر إلى شرع الله لأنه بين حركتين: حركة يجلب بها النفع وحركة يدفع بها الضر.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢].

د. الرسل سفراء بين الله وعباده يتعاقبون للوصول بالبشرية إلى الغاية فهم أقرب الطرق الموصلة إلى معرفة الحق والعمل به والخلاص من الشرك والضلال.

قال تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١].

هـ- الناس بحاجة إلى القدوة في العلم والعمل.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ

﴿ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]

الفرق بين النبوة والرسالة والولاية

الموضوع	النبوة	الرسالة	الولاية
التعريف لغة: اصطلاحاً:	مأخوذ من النبأ أي الخبر. اصطفاء الله عبداً من عباده بالوحي إليه.	مأخوذ من الإرسال أي التوجيه. اصطفاء الله نبياً من أنبيائه لتبليغ شريعته لخلقه	مأخوذ من الولي، أي القرب والدنو. اكتساب العبد قرب الله ورضاه بقدر إيمانه وتقواه
الأدلة:			
أ- القرآن	١. النبوة والرسالة اصطفاء لا اكتساب قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.		**١. كل من كان مؤمناً بالله تقياً كان لله ولياً قال تعالى:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾.
	٢. الوصف بالرسالة مغاير للوصف بالنبوة: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾. ذكرت الآية إرسالاً يعم النوعين وخصت		**٢. وهم إما مقربون وإما أصحاب يمين.** **قال تعالى:** ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ

الموضوع	النبوة	الرسالة	الولاية
	أحدهما بأنه رسول ثم عطفت عليه النبي والعطف يقتضي المغايرة.		مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾. [الواقعة: ٨٨-٩٠]
	٣. قصر الله وصفه على النبوة ولم يؤمر بتبليغ رسالته لجميع قومه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾. مثل: إسحق ويعقوب وهارون وإدريس.	٣. جمع الله له بين النبوة والرسالة وأمره بتبليغ رسالته لخلقه قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾. مثل: إسماعيل وموسى	
	٤. الاصطفاء بالنبوة سابق للاصطفاء بالرسالة قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾.	٤.لا يكون رسولاً إلا بعد اصطفاء الله له بالنبوة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.	
	٥. يخاطب المؤمنين وحدهم فهو كالعالم المجتهد في المذهب.	٥. يبلغ الرسالة لجميع من أرسل إليهم فيؤمن به بعضهم ويكذبه	

الموضوع	النبوة	الرسالة	الولاية
		آخرون. قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الحِجر: ١١]	
ب. الأدلة من السنة			
	عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم		
	فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء. فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاء الملك فقال: اقرأ». صحيح البخاري:٤٩٥٣ وعن جابرقال: قال رسول ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي: «فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على		الولاية اكتساب لا اصطفاء جاء في الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه». صحيح البخاري: ٦٥٠٢.

الموضوع	النبوة	الرسالة	الولاية
	كرسي بين السماء والأرض، قال رسول الله ﷺ «فجئت منه فرقاً فرجعت فقلت زملوني فدثروه فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾. صحيح البخاري: ٤٩٥٤ ثم تتابع الوحي. ويستفاد من الحديثين: ١:أن النبوة تتحقق لمن اصطفاه الله من عباده. ٢:أنه قد تمر على النبي فترة قبل أمره بالتبليغ والإنذار. ٣:أنه يصير عند أمره بالإنذار نبياً ورسولاً.		
ج. أقوال العلماء			
١. ابن تيميه	النبي ينبئه الله بأمره ونهيه وخبره وهو ينبئ المؤمنين بما أنبأه الله.	يرسله الله إلى الكفار يدعوهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له فكذبه بعضهم. قال تعالى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾. في هذا دليل على أن النبي مرسل لكن لا يسمى رسولاً عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه	الأولياء هم المؤمنون المتقون فمن كان أكمل إيماناً وتقوى كان أكمل ولاية لله فأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون، وأفضل أولو العزم هو محمد.

الموضوع	النبوة	الرسالة	الولاية
		بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حق.	
		وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فيوسف كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كأنا رسولين وكانا على شريعة التوراة.	
٢. ابن القيم	نبئ ﷺ ب (اقرأ).	أرسل فأنذر	
٣. علي بن أبي العز	أ. من نبأه الله بخبر السماء ولم يأمره أن يبلغ غيره من الكافرين. أ- النبوة جزء من الرسالة.	ب-الرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها.	

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الأنبياء كان أولاً؟ قال: آدم، قلت يا رسول الله و نبيٌ كان؟ قال: نعم، نبيٌ مكلم. قلت: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً، قلت: يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر. مشكاة المصابيح: ٥٦٦٩.

الوحي

لغة: مصدر وحي يحي وحياً – الإعلام السريع الخفي، أصله التفهيم أو الإشارة السريعة، وقد تكون بالكلام وقد تكون بصوت مجرد عن التركيب وقد يكون بالإشارة ببعض الجوارح والكتابة.

اصطلاحاً: إعلام الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر.

مدلول مادة الوحي في القرآن

تنسب هذه المادة في القرآن إلى الله والإنسان والشيطان، وكلها تدور حول التفهيم والإعلام.

١- وحي منسوب إلى الشيطان يدل على الوسوسة والتزيين والإضلال.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام:١١٢].

٢- وحي منسوب إلى الإنسان بالإشارة والرمز.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم:١١].

٣- وحي من الله تعالى ويطلق على عدة معان:

أ- الإلهام الغريزي: إذا كان للحيوان.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ [النحل:٦٨].

ب- الإلهام الفطري: إذا كان لأحد من البشر غير الرسل.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ [المائدة:١١١].

ج- الإلهام الخفي السريع: ويقسم إلى قسمين:

الأول: للملائكة

قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم:١٠].

الثاني: للرسل

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ﴾ [النساء:١٦٣].

أنواع وصور وحي الرسل

١. إلقاء المعنى في قلب النبي ﷺ إلهاماً يقذفه الله على وجه من العلم الضروري لا يجد له دفعاً ولا يجد فيه شكاً وقد يكون:

أ- في اليقظة مثل حديث جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان

ب- في الرؤيا المنامية وتتحقق مثل فلق الصبح، لأن رؤيا الأنبياء حق مثل رؤيا إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات:١٠٢].

٢. تكليم النبي من وراء حجاب مثل تكليم موسى تكليماً ومثل تكليم النبي محمد ﷺ ليلة المعراج...

المراد بحجاب الله تعالى أنواره، جاء في الحديث:

«حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه» صحيح مسلم:١٧٩.

٣. إرسال الملك فيلقي إلى النبي ما كلف بإلقائه، وأمين الوحي جبريل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ [التكوير:١٩-٢١].

وحي القرآن من هذا القبيل ويسمى بالوحي الجلي.

قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥].

س: ما هي خصائص الوحي التي تميزه عن الظواهر النفسية، خصائصه التي تنفي مزاعم المستشرقين في أنه حديث النفس أو تأثير الأرواح الخبيثة أو أنه مرض عصبي؟

الجواب فيما يأتي :

أولاً: الوحي حقيقة خارجية، وليس حديث النفس، فالنبي ﷺ كان يتلقى الوحي من خارج نفسه وليس من النفس أو من داخل الذات ومن الأدلة على ذلك:-

أ- موقف الوليد بن المغيرة عندما اتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بالكهانة والجنون والشعر والسحر، وقد أنكر ذلك كله وهو من ألد أعدائه، مما يدل أن الوحي لا علاقة له بالنفس ولا الأسباب الطبيعية.

ب- ما ورد في الحديث من ضم الملك له ثلاث مرات وإرساله مما يؤكد التلقي الخارجي.

جـ- الوحي قوة عالمة أعلى من قوته صلى الله عليه وسلم وليس حديث نفس كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم٤:٥].

ثانياً: أن هناك وقائع كثيرة تجري في كل لحظة نعجز عن إدراكها أو الإحساس بها بواسطة أجهزتنا العصبية، وقد يسرت لنا الاختراعات العلمية بعض الإدراكات مثل جهاز يستطيع أن ينقل لك صوت الذباب الطائر على بعد عدة أميال وكأنه يطير عند أذنك.

ثالثاً: هناك بعض الحيوانات وهبها الله قدرة فائقة لم يتوصل إليها الإنسان مثل:-

أ- الجندب الذي يحك رجليه وجناحيه فيحرك ٦٠٠ طن من الهواء ليدعو زوجته.

ب- أبو النطيط لديه قدرة خارقة على السماع.

رابعاً: ما دام من الممكن أن توجد حركات وأصوات لا يسمعها الإنسان ولكن تسجلها الآلات فلا عجب في ادعاء إنسان أنه يسمع صوتاً من لدن ربه لا يدركه عامة الناس.

خامساً: تجارب الإشراق والانكشاف توجد في الحيوان والإنسان تستطيع أن تجعل الإنسان يضحك ويبكي وتنقل إليه خواطر لا علم للإنسان بها، ومن ثم لا يستحيل وقوع هذه العملية بين العبد وربه، لذا لا يجوز إنكار الوحي والإلهام.

ويقول الزرقاني:

التنويم المغناطيسي مثال للوحي حيث يسيطر رجل قوي الإرادة على رجل أضعف منه فيجعله ينام أو يمحو رأيا في نفسه أو عقيدة أو أنه يستطيع أن يمحو اسمه ويلقنه اسماً آخر.

كذلك الهاتف لا يسمع البعيد منه إلا أزيراً بينما من يمسك به يتخاطب ويتهاتف.

صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام

اختارهم الله أكمل الخلق عقلاً وأطهرهم نفساً وأنبلهم خلقاً وأزكاهم نسباً.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج:٧٥].

وهم رجال

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ [الأنبياء:٧].

يتزوجون ويتناسلون

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد:٣٨].

يأكلون ويمشون في الأسواق

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان:٢٠].

ما يجب للرسل

١.الصدق ٢.الأمانة ٣.التبليغ ٤.الفطانة

١- الصدق

تعريفه: هو مطابقة خبرهم للواقع ولو بحسب اعتقادهم – وضده الكذب- مثل قوله ﷺ لذي اليدين حين قال:«أقصرت الصلاة أم نسيت فقال ﷺ أصدق ذو اليدين فقال الناس: نعم، فقام رسول الله ﷺ فصلى ركعتين أخريين ثم سلم، ثم كبر، ثم سجد قبل سجوده أو أطول، ثم رفع، ثم كبر، فسجد مثل سجوده ثم رفع) صحيح البخاري: ٧٢٥٠.

أما حديث تأبير النخل فهو من باب الإنـشاء فـلا يوصـف بـصدق أو كـذب ومعناه: إني لأرجو ذلك.

الأدلة على صدق الأنبياء:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم:٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾ [مريم:٤١].

الدليل العقلي:

لو لم يصدق الرسل للزم الكذب في خبره تعالى حيث أخـبر أنهـم صـدقوا في كل ما يبلغ عنه تعالى، وتصديق الكاذب كذب، والكذب محال في حقه تعالى.

٢- الأمانة

هي حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهـي عنـه وهـي العـصمة وضـد الأمانة الخيانة.

فهم أمناء الوحي

الأدلة:

قـــــال تعـــــالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ [الشعراء١٠٦:١٠٧].

وقـــــال تعـــــالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ [الشعراء١٢٤:١٢٥].

الدليل العقلي:

إنهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى لكنا مأمورين به لأن الله

أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم.

٣- التبليغ

هو تبليغ رسالات الله إلى خلقه وهي مهمتهم جميعا، وضده الكتمان

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥].

نوح يقول: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف:٦٢].

وهود يقول: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف:٦٨].

الدليل العقلي:

لو كتموا شيئاً مما أمروا به لكنا مأمورين بكتمان العلم؛ لأن الله أمرنا بالاقتداء بهم وكاتم العلم ملعون.

٤- الفطانة

هي التفطن والتيقظ لإلزام الخصم وإبطال دعواه وضدها الغفلة فقد وهبهم الله رجاحة العقل وسلامة الفكر وقوة الحجة، وأعطاهم العلم والحكمة.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام:٨٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [يوسف:٢٢].

وأيضا موقف إبراهيم من النمرود حيث قطع حجته وأظهر للناس عجزه.

ما يستحيل على الرسل:

١. الكذب ٢.الخيانة ٣. الكتمان ٤. الغفلة

الجائز في حقهم:

يجوز عليهم الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلمية، كالمرض والإغماء والسهو في الأفعال دون الأخبار البلاغية.

الرد على بعض الشبهات التي تتعلق بعصمة الأنبياء

وردت بعض الشبهات التي نسبت إلى بعض الأنبياء مما ينافى العصمة وذلك كما يلي:

أولا: آدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه:١٢١].

العصيان نوعان:

١. قد يكون عمداً فيكون ذنباً

٢. وقد يكون خطأ أو نسياناً فيكون زلة

ومعصية آدم من النوع الثاني والدليل

قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [البقرة:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه:١١٥].

فقد نسي آدم عهد الله، ولم يوجد له عزم على المعصية ولا قصد، فلا مؤاخذة؛ لأن الله لا يؤاخذ على الخطأ والنسيان

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقوله ﷺ «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» الأحكام الصغرى: ٩٩.

ثانياً: يوسف عليه السلام

جاء في قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ﴾ [يوسف:٢٤].

المراد بالهم: هو الهم بالضرب والأذى ويدل على ذلك:-

١. أن كلمة الهم في القرآن وردت بمعنى الأذى كالضرب والقتل

قال تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر:٥]. أي حرصوا على قتله.

وقال تعالى: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ [التوبة:٧٤]. نفر من المنافقين هموا بالفتك بالنبي ﷺ.

٢. سياق القصة يدل على أن المراودة كانت من امرأة العزيز والإباء والامتناع كان من يوسف فقد استعاذ بالله وذكر مآل الظالمين، فهي همت به بالإيذاء والضرب انتقاماً لغريزتها المهانة، وهمَّ يوسف أن يقابل الشر بالشر والضرب بمثله لولا أن رأى أن ذلك لا يليق مع سيدة تبنته فآثر الفرار على القتال، وأسرع نحو الباب، ولكنها أسرعت خلفه.

قال تعالى: ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾ [يوسف:٢٥].

٣. صفاته: وصفه الله بأنه بلغ رشده، وكمل عقله، وأحسن عمله.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:٢٢].

٤. صرف السوء عنه.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤].

قال أبو السعود في تفسيره هذه الآية:

إنها بينة قوية وحجة قاطعة على أنه عليه السلام لم يقع منه هـمٌّ بالمعصية ولا توجه إليها قط وإلا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وإنما توجه إليه ذلك من خارج نفسه فصرفه الله عنه بما فيه من موجبات العفة.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾. قراءتان.

بفتح اللام: أي كان مستخلصاً للرسالة.

بكسر اللام: أي كان مخلِصاً لله تعالى في طاعته.

وهذا يمنع احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام.

قال الإمام الرازي:

الذين لهم تعلق بهذه الواقعة هم: يوسف، والمرأة، وزوجها، والشهود، ورب العالمين، وإبليس، وكلهم قال ببراءة يوسف وطهارة ساحته:

أما يوسف: قوله تعالى: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يوسف:٢٦].

وأما المرأة: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف:٣٢].

وأما زوجها: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف٢٨:٢٩].

وأما الشهود: قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾ [يوسف٢٦-٢٨]

وأما شهادة الله: قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤].

أما إقرار إبليس: قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [ص٨٢:٨٣].

وقال في يوسف: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾.

وإذن فقد أقر إبليس بأنه لم يغوه عليه السلام.

معجزات الرسل

تعريف المعجزات:

١. هي آيات الأنبياء وبراهينهم وهي أولى من لفظ المعجزات، لم يرد لفظ المعجزات في الكتاب والسنة، وإنما ورد لفظ الآية والبينة والبرهان وهذا تسمية القرآن والسنة لها.

قال تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٣٢]. عن العصا واليد.

وقال تعالى في حق محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء:١٧٤]

وقال تعالى في حق عيسى عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة:٨٧].

وفي الصحيحين «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة». الجواب الصحيح: ٦/ ٣٨٠.

٢. آيات انفرد بها النبي الواحد، وآيات اشتركوا فيها.

انفردوا: فمثلاً لم يشترك مع موسى أحد في العصا واليد وفرق البحر، ولم يشترك مع محمد ﷺ أحد في انشقاق القمر والقرآن ونبع الماء من بين الأصابع.

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر١:٢].

ولم يشترك مع صالح أحد في إخراج الناقة من الصخر.

قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٧٣].

ولم يشترك مع سليمان عليه السلام أحد في طاعة الجن وتسخير الريح.

قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص٣٥:٣٦].

اشتركوا بما يلي: الإخبار بالغيب عن الله والذي لا يعلمه إلا الله.

قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن٢٦:٢٧].

٣. حد المعجزة: حدها حد الدليل والبرهان.

يقول الباجي: هو الذي يصح أن يستدل به ويسترشد ويتوصل به إلى المطلوب.

٤. شروط آيات الأنبياء وما ليس شرطاً فيها:

شروط المعجزة:-

أ- عجز جميع المكذبين والشاكين من الإتيان بمثلها، سواء كانوا من الإنس أم من الجن.

قال تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾ [الأنعام:١٣٠].

ب- خرق عادة جميع الثقلين وأن يكون للأنبياء دون غيرهم، وهو مستلزم للنبوة، ومن أتى به لا يكون إلا نبياً.

ج- أن تكون من العجائب التي لا نظير لها أصلاً عند غير الأنبياء.

د- أن تسلم من المعارضة فإذا جاء أحد بمثل ما جاء به الرسول بطلت دلالة الآية.

هـ- أن تكون خارجة عن مقدور من أرسل الأنبياء إليهم:

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء:٨٨] .

الأمور التي ليست من شروط آيات الأنبياء «المعجزة»:

١. استدلال النبي بها.

٢. ولا تحديه بالإتيان بمثلها.

مثل إخبار الأنبياء على نبوة محمد ﷺ ومثل تكثير الطعام حتى يكفي العدد الكبير.

قال رسول الله ﷺ «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث واني لأعرفه الآن» صحيح مسلم: ٢٢٧٧.

وعن أنس «أن امرأة يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فلما مد يده إليها ليأكل، قال رسول الله ﷺ: إن عضواً من أعضائها يخبرني أنها مسمومة، فامتنع» صحيح مسلم: ٢١٩٠.

فهذه الآيات ليست للتحدي أو الاستدلال بل لحاجة المسلمين إليها.

٥. الفرق بينها وبين غيرها:

المعجزة: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي فإن كان قبل بعثته سمي إرهاصاً وإن كان بعدها سمي آية.

الكرامة: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد، فإن كان ولياً سمي كرامة، وإن كان عامياً سمي معونة.

الإهانة: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدع للنبوة تكذيباً له كما حدث لمسيلمة الكذاب.

الاستدراج: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدع للألوهية استدراجاً كما يظهر على يد المسيح الدجال.

السحر: أفعال غريبة، فإن كانت عن خفة في يد صانعها سميت شعوذة كما

يفعل الحواة، وإن كانت:

١- عن قواعد عرفها سميت سحراً وإن كانت عن علم بأسرار الكون وخواص المادة فهي المخترعات.

فرق بعض الناس بين المعجزة والكرامة فقال: الكرامة يخفيها صاحبها أو لا يتحدى بها.

والرد: أن هناك كرامات أظهرها أصحابها مثل العلاء الحضرمي مشى على الماء، وأظهر عمر مخاطبة سارية، وأبو مسلم الخولاني صارت النار عليه برداً وسلاماً حين ألقاه فيها الأسود العنسي.

الفرق بين المعجزة والكرامة

١- جميع الكرامات مقتبسة من مشكاة نبوة محمد ﷺ، ولا تبلغ الكرامة مبلغ المعجزة.

٢- كرامة الأولياء تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول، ولا تدل على أن الولي معصوم، ولا على أنه تجب طاعته في كل ما يقول.

٣- يجب قبول كل ما يقوله النبي الذي دلت المعجزة على صدقه، والنبي معصوم.

٤- كل كرامة كان لها أصل في معجزات الرسول ﷺ كانت صحيحة، وإن لم يكن لها أصل فغير صحيحة.

خصائص رسالته ﷺ:

خصائص الرسالة المحمدية ثلاث خصائص هي:

١- عموم بعثته ﷺ ٢- خلود رسالته ﷺ ٣- ختمه للنبوات.

١- عموم بعثته ﷺ:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨].

فالآيات تدل على أن بعثته ﷺ شاملة لا تخص شعباً ولا جنساً فهي للناس كافة.

وقال ﷺ «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأينما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس كافة». صحيح البخاري: ٣٣٥.

فبعثته عامة أرسله الله إلى جميع المكلفين من الثقلين الإنس والجن.

قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنعام:١٣٠].

من نفى عموم بعثته كفر ولا يجوز أن نقول إن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران:٨٥].

العرب لأنه أتى بلغتهم، لأن من الشرطية من أبلغ صيغ العموم.

ومن الأدلة على أن رسالته عالمية، أنه أرسل رسائل في حياته إلى ملوك الأرض وعظماء الأمم. أما بالنسبة لنوح عليه السلام فقد كان تعميمه خاصاً لأنه لم يسلم بعد الطوفان إلا من كان في السفينة، وتعميمه كان خاصاً بزمنه وكان للإنس دون الجن.

٢- خلود رسالته:

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة:٣].

وقال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:٣٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

الرسالة المحمدية رسالة كاملة لا نقص فيها، وقد حوت جميع ما جاء في الكتب السابقة، وزادت عليها فسدَّت مسدَّها وأغنت عنها.

والرسالة المحمدية خالدة مستمرة لا تتبدل ولا تتغير ولا ناسخ لها، وتقوم على أسس ومبادئ عامة صالحة لكل زمان ومكان وحفظها الله في الصدور والسطور.

٣- ختمه النبوات:

الدليل على ختمه النبوات:

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

فهو ﷺ خاتم الأنبياء ويلزم منه ختم الرسالات لأنه يلزم من ختم الأعم ختم الأخص.

بالنسبة لنزول عيسى عليه السلام آخر الزمان لا إشكال فيه، لأنه ينزل حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، ومتبعاً له، كما أنه لا يقبل من أهل الكتاب إلا الإسلام.

قال ﷺ «إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلاّ وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين». صحيح مسلم: ٢٢٨٦.

فالعالم ليس بحاجة اليوم إلى نبي آخر، وإنما حاجتها إلى رجال يتبعون النبي ويدعون الناس إلى إتباعه، ويقيمون في الأرض دولته وقانونه الذي جاء به من عند الله.

وقد أخطأ الشاعر عندما قال:

ما أحوج الدنيا لمثل محمد   تملي سياستها عليه سماء

والصواب

ما أحوج الدنيا لدين محمد   أملت سياستها عليه سماء

لأن كل من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ فهو كاذب، وكل من صدق نبياً بعده فهو كافر، فالبهاء دجال وأتباعه كفار، والقادياني دجال، وأتباعه كفار، وقد حذر منهم رسول الله ﷺ فقال «إنه سيكون في أمتي ثلاثون كذاباً كلهم يدعي أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». صحيح الجامع: ٧٤١٨.

السمات التي تميزت بها سيرته ﷺ

١. التاريخ الصحيح يؤيدها ويدل على صحتها.

٢. جامعة لجميع مناحي الحياة وشؤونها وأضوائها

٣. كاملة متسلسلة.

٤. عملية، ويعبر بها عن الفضائل والواجبات.

٥. سجلت بكاملها أقوال الرسول ﷺ وأفعاله – بسند متصل.

يقول ابن تيمية «وعلم السند والرواية مما خص الله به أمة محمد ﷺ».

طرق إثبات نبوته ودلائل صدقه ﷺ.

حكمة الله أنه إذا بعث رسولاً أمر الناس بتصديقه وطاعته، ونصب لهم من الأدلة ما يدلهم على صدقه. ومن ذلك:

١. أدلة قرآنية

٢. أدلة عقلية

٣. أدلة نقلية

٤. أدلة حسية

٥. أدلة واقعية

أولا الأدلة القرآنية:

فالقرآن تحدى الله به الأنس والجن.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [**الإسراء**:٨٨].

فعجز العرب عن معارضته ولو بأقصر سورة منه، وعرض القرآن البراهين العقلية والنظرية التي تجعل العقل يسلّم ويقر بصدقه ﷺ، ومن تلك البراهين:

١- إخباره بمغيبات وقعت في عصره مثل:

أ. وعد الله باستخلاف المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور:٥٥]. وقد تحقق هذا الوعد.

ب. أخبر بأن الجمع سيهزم يوم بدر.

قال تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر:٤٥]. وقد تحقق.

ج. دخول الرسول المسجد الحرام في عمرة القضاء.

قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧]. وقد تم.

٢. إخباره بمغيبات وقعت في عصرنا:

أ. إن موطن الحس هو الجلد.

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ﴾ [النساء:٥٦].

ب.قرر القرآن أن هناك أصغر من الذرة وقد تم تحطيم الذرة.

قال تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن

ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ:٣].

ج. تهيئة العقل إلى الكشوف والمخترعات وكل جديد مع الإقرار لله بالقدرة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨] .

ثانياً: الأدلة العقلية:

أما إثبات صدق نبوة محمد ﷺ عن طريق العقل فكما يلي:

١- **قرائن الأحوال:** فإذا علم الإنسان بحال المخبر صدَّقه أو كذَّبه فقرائن الأحوال تعرب عن صدق النبي مثل:

أ. موسى عليه السلام عندما جاء إلى مصر وقال لهارون وغيره إن الله أرسلني، علموا صدقه قبل أن يظهر لهم الآيات.

ب. وعندما قال موسى لهارون إن الله أمرك أن تؤازرني، صدّقه لأنه يعلم حال صدقه.

ج. ومحمد ﷺ عندما ذكر أمره إلى خديجة رضي الله عنها صدقته وقالت أبشِر فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم، وتصدُق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكَلَّ.

د. وورقة بن نوفل قال: عندما سمع بخبر نبوة النبي ﷺ ياليتني فيها جذعاً ياليتني أكون حياً حين يخرجك قومك.

هـ. وعندما أخبر النبي ﷺ أبا بكر وزيداً وعلياً بما جاء به علموا صدقه فـآمنوا به، وقد صدق الناس بجميع الأنبياء ولم يقدح فيهم إلا أحد رجلين: إما جاهل وإما معاند.

٢. صفاته الأساسية: مثل:

أ. صدقه ﷺ المطلق في كل الأحوال وفي كل الأوقات، عن علي رضي الله عنه أن أبا جهل قال للنبي ﷺ «إنا لا نكذّبك ولكن نكذّب ما جئت به».

فـأنزل الله تعـالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣]

ولصدقه ﷺ كان أحب إليهم من الأموال والأولاد والأنفس والزوجات، مـن ذلك قصة صهيب رضي الله عنه عندما هاجر من مكة إلى المدينة تنازل عن ماله في مكة مقابل أن يخلوا سبيله مهاجراً في سبيل الله.

فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

ب. التزامه ﷺ التزاماً كاملاً بما يدعو إليه مـن التكـاليف، فقـد كـان ﷺ المثـل الكامل في عبادة ربه وتطبيق ما يدعو إليه وتنفيذ ما أمر به فقد كـان ﷺ يقـوم مـن الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت له عائشة: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفـر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»، صحيح البخاري: ٦٤٧١ وكان أزهد ما يكون في الدنيا «ما شبع آل محمد ﷺ مـن خبـز شـعير يـومين متتابعين حتى قبض». صحيح مسلم: ٢٩٧٠.

وكان لطيفاً بأهله رحيماً متواضعاً بأصحابه، وكان رسول الله ﷺ إذا صافح أو صافحه الرجل لا ينزع يده، وإن استقبله بوجهه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف عنه ولا يُرى مقدِّمًا ركبتيه بين يدي جليس له، وكان يقول لضعفائهم: «أهلاً بمن أوصاني بهم ربي».

ج. التبليغ الكامل لشرع الله في صبر واحتساب فقد بلّغ الرسالة وأدى الأمانة وتحمل في سبيل الدعوة ألوان الإيذاء وصنوف الكيد، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، وكادوا له ولأصحابه بالمقاطعة وحاولوا اغتياله، عن ابن عباس: عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. أتى النبي الصفا ثم نادى: «يا صباحاه» فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه ورجل يبعث رسوله فقال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني كعب أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا نعم، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [المَسَد: ١]. صحيح البخاري: ٤٩٧١

وعن منبت الأزدي قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية وهو يقول «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فمنهم من تفل في وجهه، ومنهم من حثا عليه التراب، ومنهم من سبه، حتى انتصف النهار، فأقبلت جارية بعس «القدح» من ماء فغسل وجهه ويديه وقال: «يا بنية لا تخشي على أبيك غيلة ولا ذله، فقلت من هذه قالوا: زينب بنت رسول الله ﷺ وهي جارية وضيئة. تاريخ ابن عساكر: ٥٧/ ١٨٨.

قال ابن إسحق: اجتمع الملأ من قريش وتشاوروا في أمر الرسول ﷺ، قال أبو جهل: والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: ما هـو؟ قـال أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سـيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فـإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلم يقـدر بنـو عبـد منـاف علـى حـرب قومهم جميعاً فرضوا منا بالعقل فعقلناه ودفعنا ديته.

د. عقله وفطنته وتجرده عن المصلحة الخاصـة وتنزهـه عنهـا. عـرف ﷺ قبـل البعثة برجاحة العقل وسلامة الفكر وقوة الحجة وعدالة الحكومة ورشـد القـضاء، ومما يدل على ذلك قصة الحجر الأسود.

وكانت قريش تسمي الرسول ﷺ الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي وقصته مـع عمه عندما قال له: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمـر في يـساري مـا تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

ثالثاً: الأدلة النقلية:

إثبات صدق نبوته ﷺ عن طريق الأدلة النقلية كما يلي:

١. **بشارات الإنجيل**

إنجيل يوحنا (إن أركون العالم سيأتي وليس لي شيء)

الأركون: عظيم القدر والمراد عظيم العالم وسيده وكبيره، ولم يأت بعد المسيح من ساد العالم وأطاعه العالم غير محمد ﷺ.

سئل الرسول ﷺ: «ما كان أول أمرك؟ قال دعوة أبي إبراهيم وبـشارة عيـسى

ورؤيا أمي رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاءت لها قصور الشام». مشكاة المصابيح: ٥٦٩١.

وورد في القرآن في بشارة عيسى:

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: ٦].

٢. إخبار الله بنبوته ﷺ فقد أخبر الله تعالى بذلك فقال: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾.

٣. إخباره ﷺ بنبوة نفسه كما أمره ربه. قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

رابعاً الأدلة الحسية:

إثبات صدق نبوته ﷺ عن طريق الحس من خلال الأدلة التالية:

١. **الإسراء** قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: ١].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣ - ١٤].

٢. **انشقاق القمر**. قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

٣. رد عين قتادة بن النعمان حين أصيبت يوم بدر.

٤. نبع الماء من بين أصابعه ﷺ يوم الحديبية، وقد تكرر ذلك في مواطن عدة.

خامساً: الأدلة الواقعية:

إثبات صدق نبوة محمد ﷺ عن طريق الواقع وذلك من خلال:

١. انتظار اليهود لنبي جديد، وكذلك بعض الموحدين المنعزلين في الجزيرة من أحبار النصارى واليهود يريدونه منهم فلما جاء من إسماعيل كرهوا ذلك وحاربوه.

٢. إقرار المخلصين من اليهود والنصارى بنبوته ﷺ. قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ١٤٦]. ومن هؤلاء عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، والنجاشي.

٣. انقياد القلوب والأجسام له فالرسول ساد العالم ظاهراً وباطناً وانقادت له القلوب والأبدان، وأطيع في السر والعلانية في محياه ومماته ﷺ.

الوحدة الكبرى بين الرسالات جميعاً

بداية التوحيد

١. هبط آدم عليه السلام إلى الأرض وكان موحداً، وعلم بنيه التوحيد ثم تكونت الجماعات البشرية وتكونت معها عقائد خاطئة وعادات سيئة فألّهوا الشمس والقمر وقدسوا الحيوانات والحجر، فأرسل الله الرسل لرد البشرية إلى عقيدة التوحيد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

٢. وقد أخبر الله عن بعض الأنبياء ولم يخبر عن الآخرين. قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

٣. ذكر القرآن خمسة وعشرين نبياً، ورد أسماء ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٦].

٤. وقد ورد أسماء الباقي في قول الناظم:

إدريسُ هودُ شعيبُ وصالحٌ وكذا ذو الكفل آدم بالمختار قد خُتموا

٥. أولو العزم منهم خمسة ذكروا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] .

الحكمة في تعدد الرسالات

تعددت لأنها رسالات خاصة، فكل رسول بعث لقومه دون غيرهم، ولتكون الرسالة مناسبة لحالهم موافقة لتطورهم وفطرهم، وتنوعت الشرائع لأنها جاءت لمدة محدودة وبيئة معينة.

وحدة أصول الرسالات

أولاً: في الدين. فارتضى لعباده ديناً واحداً منذ آدم ولا يقبل دينا سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، وقد قال الله تعالى في نوح: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وقد قال الله تعالى في إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن

ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقد قال الله تعالى في يوسف: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقد قال الله تعالى في موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقد قال الله تعالى في عيسى والحواريين: ﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقد قال الله تعالى في محمد ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

ثانياً: في التوحيد. الرسل جميعاً دعوا إلى عبادة الله وحده.

قال تعالى في نوح: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال الله تعالى في هود: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال تعالى في صالح: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا

لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف:٧٣].

وقال تعالى في شعيب: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقال تعالى في إبراهيم: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [العنكبوت: ١٦].

وقال تعالى في عيسى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم: ٣٦].

وقال تعالى في محمد ﷺ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ ﴾ [يونس: ٣].

ثالثا: في العبادات

هناك شعائر مشتركة بين المرسلين:

١. الصلاة والزكاة: قال الله تعالى في إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

قال الله تعالى في إسماعيل: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٥].

٢. الصوم. قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

٣.الحج. قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ [الحج: ٢٧].

رابعاً: في المعاملات وقواعد الآداب. «أصول الأخلاق والمعاملات».

أصول الأخلاق والمعاملات والآداب والسلوك مرتبطة بالعقيدة. قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢].

واستمرت الآيات ترسم أصول الأخلاق والمعاملات كما يلي:

أ. أدب سلوك الأبناء مع الآباء

ب. التكافل الإنساني والتوازن المالي

ج. تقرير حرمة النفوس والأعراض

د. حق اليتيم والوفاء بالعهد وإيفاء الكيل والميزان

ه. أمانة العقل والجوارح

و. دعوة إلى التضامن والتواضع

بعد هذه الآيات يأتي: قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء: ٣٨].

ويربط الأوامر والنواهي والتكاليف برباط العقيدة والتحذير من الشرك فختمها بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ

فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩] .

وقد جمع الله هذه الأسس لموسى عليه السلام في ساعات التكليف الأولى.

قال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: ١٣- ١٦]

وقد أمر الله أن نتبع ملة إبراهيم حتى تتم الوحدة الكبرى بين الرسل.

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٥ - ١٣٦].

الاختلاف في الشرائع

اختلفت شراعع الأنبياء في عدة أمور من أهمها:-

١. في الحلال والحرام وأوضح مثال على ذلك الزواج:

أ. أحل الله لآدم تزويج بناته من بنيه ثم حرم ذلك.

ب. أحل الله لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات ثم نسخ حل بعضها.

٢. في العبادات: فقد اختلفت عدداً وهيئة وقدراً فرض الله على اليهود خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم زكاة.

٣. في التوبة والطهارة.

أ. جعل توبة الذين عبدوا العجل قتل أنفسهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

ب. من أصاب ثوبه نجاسة من اليهود قطعها.

ج. من أصاب ذنباً أصبح ذنبه مكتوباً على بابه.

د. جاء الإسلام فوضع الإصر والأغلال التي كانت على من سبق يقول ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد». عمدة التفسير: ١/ ٨٤٨.

فالدين واحد وهو عبادة الله وحده وإن تنوعت الشرائع.

اليوم الآخر

لكل إنسان يوم آخر يخصه دون غيره يبدأ من الموت لحديث «القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر وإن لم ينج فما بعده أشد».

سؤال الملكين

يجب الإيمان بأن الله يرد على الميت روحه وسمعه وبصره، وأن أول ما ينزل به بعد موته سؤال منكر ونكير له، والدليل:

قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

المراد بالتثبيت: قول لا اله إلا الله في الدنيا والإجابة الصحيحة عن سؤال الملكين لحديث: «كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل». تحفة المحتاج: ٢/ ٣٥.

إجابة المؤمن وإجابة الكافر والمنافق عن سؤال الملكين

قال ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له انظر إلى مقعدك من النار فقد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً ويفسح له قبره، وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال لا

دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين». صحيح البخاري: ١٣٧٤.

ما الحكمة في سؤال القبر

الحكمة إظهار ما كتمه العباد في الدنيا من إيمان وكفر أو طاعة ومعصية فالمؤمنون الطائعون يباهي الله بهم الملائكة.

والكفار والعصاة يفضحون عند الملائكة.

وقد جزم الإمام الترمذي بأن السؤال في القبر خاص بالمسلمين.

س. اذكر أدلة عذاب القبر ونعيمه.

ج. قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦].

فالمراد بسوء العذاب: الغرق.

والمراد بعرض النار صباحاً ومساء إلى قيام الساعة عذاب القبر.

والمراد بأشد العذاب دخول جهنم يوم القيامة.

ومن السنة «أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة، فقالوا: يا رسول الله، لم صنعت هذا فقال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا) صحيح البخاري ١٣٦١.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سألت النبي ﷺ عن عذاب القبر فقال: عذاب القبر حق». صحيح النسائي: ١٣٠٧.

والحديث «لولا ألاّ تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر». صحيح مسلم: ٢٨٦٨.

والحديث «إن الموتى ليعذبون في قبورهم حتى أن البهائم لتسمع أصواتهم». صحيح الجامع: ١٩٦٥.

س. ما حكم الإيمان بعذاب القبر، وما هي كيفية، وما هي أقوال العلماء فيه؟

ج. يجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به.

ولا يجوز أن نتكلم عن كيفيته إلا بما ورد في الأدلة الصحيحة إذ لا مجال للعقل فيه.

أقوال العلماء

ابن حزم: العذاب للروح وحدها وهذا قول فاسد.

ابن جرير: للبدن بلا روح وهذا قول فاسد.

والصحيح الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة: أنه للنفس والبدن، وأن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، وأن من مات وهو مستحق للعذاب يعذب سواء قبر أو لم يقبر أكلته السباع أو احترق وصار رماداً ونسف في الهواء.

وإن الميت يجلس وتختلف أضلاعه بما يناسب ذلك المقام، وأن الدور ثلاث، دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار ولكل دار أحكام تخصها.

وأن أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها.

وأن أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها.

وأن أحكام الدار الآخرة على الأرواح والأجساد جميعاً.

وأنه قد يدفن رجلان بجانب بعضهما مؤمن وكافر، فهذا روضة من رياض الجنة ولا يصل إلى جاره شيء من نعيمه، ولا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره.

أقوال الناس في سؤال منكر ونكير:

١. فريق من العلماء قال: خاص بأمة محمد ﷺ «الترمذي».

٢. الفريق الثاني: قال عام لجميع البشر.

٣. الفريق الثالث: قال بالتوقف ومنهم «ابن عبد البر».

واختلفوا في سؤال الأطفال واختلفوا في عذاب القبر هل يدوم أو ينقطع.

والجواب: أنه نوعان منه ما هو دائم، والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

ومنه ما يكون مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم.

المفهوم العام لليوم الأخر

المراد به آخر أيام الدنيا، حيث تفنى بأحداث هائلة تدمر الكون، والدليل:

قولــه تعــالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٤ - ١٦].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣ - ٦].

يقول أبي بن كعب: «ست آيات قبل يوم القيامة، بينما الناس في أسـواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبيناهم كذلك إذ تناثرت النجـوم فبينـاهم كـذلك إذ وقعـت الجبال على وجه الأرض فتحركـت واضـطربت ففـزع الجـن والإنـس واختلطـت الدواب والطيور والوحوش، وأهملت العشار، وسجرت البحار، فبينا هـم كـذلك إذ جاءتهم الريح وأماتتهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:«لا تقـوم الـساعة حتـى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا جميعا فذلك حين لا ينفـع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومن الـساعة وقـد نشر الرجلان ثوبهما فـلا يتبايعانـه ولا يطويانـه، ولتقـومن الـساعة وقـد أنـصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يـسقى منـه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها». صحيح البخاري: ٤٦٣٥.

أثبت عن طرق العقل والواقع فناء العالم وزوال نظامه.

كما أن لكل شيء في الدنيا أجلاً ينتهي إليه بصفته الفردية فكذلك نظام العالم لا بد له من أجل ينتهي إليه.

قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣].

أي خلقنا ذلك لمدة مضروبة معينة لا تزيد ولا تنقص عند نهايتها يعتريه الفناء ويحل محله نظام آخر.

أشراط الساعة

من رحمة الله بخلقه أن جعل للساعة أشراطاً تسبقها.

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ [محمد:١٨].

والمراد بمجيء أشراطها: أي وجود علاماتها وأمارات اقترابها.

قال تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم: ٥٧ - ٥٨]..

وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١].

أقسام علامات الساعة

١- صغرى.   ٢- وكبرى.

العلامات الصغرى

العلامات الصغرى: هي التي تتقدم الساعة بأزمان بعيدة وتكون في أصلها معتادة الوقوع ومنها:

١. رسالة محمد ﷺ لحديث «بعثت أنا والساعة كهذه من هذه، أو كهاتين. وقرن بين السبابة والوسطى» صحيح البخاري: ٥٣٠١..
٢. أن يكون السادة من أولاد السراري، حيث تلد الجارية بنتاً أو ابناً من سيدها.

٣. أن يصير أهل البداوة والرعي أصحاب ثراء عريض وقصور عالية، والدليل: «قال: فأخبرني عن الساعة قال ﷺ: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن أمارتها قال أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان».

٤. كثرة الأموال في أيدي الناس حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً.

٥. ظهور الفتن العمياء التي لا تبقي على آصرة ولا قرابة ولا جوار.

٦. وقوع القتل وكثرته في الناس كما يحدث في الحروب المدمرة.

والدليل: «قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يفيض المال وتظهر الفتن ويكثر الهرج وقالوا وما الهرج يا رسول الله قال القتل القتل القتل». صحيح ابن ماجه: ٣٢٨٧.

٧. إسناد الأمور لغير أهلها وذلك بوضع الرجل غير المناسب في المكان غير المناسب لشيوع المحسوبية وظهور المحاباة في الناس «أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: متى الساعة قال «إذا ضيعت الأمانة فأنتظر الساعة قال وكيف إضاعتها قال إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» . صحيح البخاري: ٦٤٩٦.

٨. قتال المسلمين لليهود وانتصار المسلمين عليهم لقول الرسول ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإن شجر اليهود» البخاري ٤/ ٥١ ومسلم ٤/ ٢٢٣٩.

العلامات الكبرى

وهي التي تقارب الساعة مقاربة سريعة وتكون في ذاتها غير معتادة الوقوع

الإمارات الدالة على قرب العلامات الكبرى

بين يدي العلامات الكبرى يشتبك المسلمون مع الروم في معركة كبرى سماها الرسول ﷺ: (الملحمة) وبعد انتصار المسلمين على الروم يفتحون روما ثم يخرج الدجال وبعد خروج الدجال ينزل عيسى عليه السلام ويقتل الدجال ثم يخرج يأجوج ومأجوع في زمن عيسى عليه السلام ويهلكهم الله في زمنه ثم بعد ذلك تحدث الخسوف الثلاثة..

وتقسم إلى قسمين

١.أمارات على قربها وهي:

الدجال ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسوف الثلاثة.

٢. وأمارات على قيامها وهي:

الدخان وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة والنار.

وأول هذه العلامات:

١- الدجال

لحديث: أن الدجال يخرج وأن معه ماء وناراً فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في

الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب). صحيح مسلم: ٢٩٣٤ والمسيح الدجال شخص موجود معين ابتلى الله به عباده بما يجري على يده من عجائب هي استدراج وإملاء من الله، وله خوارق منها:

أ. يأمر السماء أن تمطر فتمطر.

ب. يأمر الأرض أن تنبت فتنبت.

ج. معه مثل الجنة والنار يفتن الضالين ويثبت الله المؤمنين.

وسمي المسيح لأنه:

أ. يمسح الأرض في أربعين يوماً.

ب. لأنه ممسوح العين اليمنى فهو أعور.

وسمي الدجال لكذبه وخداعه

صفته:

قالﷺ: «إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت ألا تغفلوا أن المسيح الدجال قصير أفحج متباعد ما بين الفخذين جعد أعور مطموس العين ليست بناتئه ولا حجراء مختفية فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا». صحيح الجامع: ٢٤٥٩.

أتباعه: لحديث «يتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة»

خروجه: لحديث «يخرج الدجال في خفة من الدين، وإدبار من العلم، وله أربعون يوماً يسيحها في الأرض، اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها

كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامنا هذه، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً فيقول للناس أنا ربكم وهو أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر ك، ف، ر – مهجاة يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب يَرِدُ كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه، وقامت الملائكة بأبوابهما، ومعه جبل من خبز، والناس في جهد إلا من تبعه، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه، نهر يقول الجنة ونهر يقول النار، فمن دخل الذي يسميه الجنة فهو نار ومن دخل الذي يسميه النار فهو جنة، ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس، ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس، لا يسلط على غيرها من الناس، ويقول يا أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب عز وجل فيفر الناس إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم فيحاصرهم ويجهدهم جهداً شديداً ثم ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السَّحَر فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث فيقولون هذا رجل جني. كناية عن شدة أذاه فينطلقون فإذا هم بعيسى بن مريم عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم، فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء – يختفي- فيمشي إليه فيقتله حتى أن الشجر والحجر ينادي يا روح الله هذا يهودي فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله». صحيح ابن خزيمة ١/ ١٠٢.

الفرق التي أنكرت الدجال

١. الخوارج والجهمية

٢. بعض المعتزلة

٣. وقال بعض المعتزلة إنه صحيح الوجود، وزعموا أن ما ورد في أعماله خيالات لا حقائق لها، لأنه لو كان حقاً لم يوثق بمعجزات الأنبياء.

والرد عليهم:

١. أنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له.

٢. أنه يدعي الألوهية فالخوارق التي معه استدراج وإملاء.

٣. هو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته.

٤. عجزه عن إزالة عوره وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه.

٢- نزول عيسى عليه السلام.

يسمى المسيح لبركته وكثرة سياحته والدليل:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزُّخرُف: ٦١].

قال قتادة وغيره: إن الله رفع إليه عيسى وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاماً يؤمن به البر والفاجر.

هل هناك تعارض بين نزول عيسى عليه السلام وبين قوله تعالى عن محمد ﷺ ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وقوله ﷺ (لا نبي بعدي).

شبهات حول نزول عيسى عليه السلام

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [المائدة: ١١٧].

١. الأخبار تضافرت بأن عيسى عليه السلام لم يمت وأنه باق في السماء على الحياة التي كان عليها في الدنيا حتى ينزل إلى الأرض آخر الزمان.

٢. قيل إن معنى الوفاة في كتاب الله سبحانه على ثلاثة أوجه:-

أ. بمعنى الموت ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[الزُّمَر: ٤٢].

ب. بمعنى النوم ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾[الأنعام: ٦٠].

ج. بمعنى اخذ الشيء وافيا أي كاملا ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

٣. فيكون المعنى فلما رفعتني إلى السماء وأخذتني وافياً بالبدن والروح معاً.

٣- خروج يأجوج ومأجوج:

وهم أمة كبيرة من الناس تنسل من كل حدب، تنشر الفساد والدمار والرعب في الأرض قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا قَدْ

﴿كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧] ويقول الرسول ﷺ «لا إله إلى الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها.

٤- الخسوف الثلاثة في المشرق والمغرب وجزيرة العرب:

لحديث «طلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات... وذكر منها... وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب...».

والمراد بذلك كما يقول ابن حجر رحمه الله أن المراد كثرة الزلازل شمولها ودوامها وقد وقع في حديث سلمة بن نفيل عند أحمد (وبين يدي الساعة سنوات الزلازل) وله عن أبي سعيد (تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة) فتح الباري ١٣/ ٧٤.

الأمارات التي تدل على قيامها وهي:

١- الدخان.

٢- طلوع الشمس من مغربها.

٣- خروج الدابة.

٤- النار.

١. الدخان:

وهو دخان يأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام، ويمكث في الأرض أربعين يوماً قال تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الدخان: ١٠].

٢. طلوع الشمس من مغربها:

ويتم ذلك بعد الانتشار العظيم للإسلام الذي يعم المشارق والمغرب ثم يضعف الإسلام ويترعرع الشر فلا يبقى إلا الأشرار فيبدأ الخلق تغير نظام الكون الذي يسير به ولشدة تأثير هذه الآية يفزع الناس عند رؤيتها ويؤمنون جميعاً ولكن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) البخاري: ٨/ ١٣٢ ومسلم ١/ ١٣٧.

٣. ظهور دابة تكلم الناس:

عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال أشرف علينا رسول الله ﷺ وكنا نتذاكر الساعة فقال ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم والدجال وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا» . سنن الترمذي: ٢١٨٣.

والأدلة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

من السنة: «أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً». صحيح مسلم: ٢٩٤١.

٤. **نار تخرج من اليمن:**

قال ﷺ: «ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس» وفي حديث آخر «ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس تنزل معهم إذا نزلوا وتقيل معهم حيث قالوا» شرح مسلم للنووي / ١٨/ ٢٩.

الصور

معناه: قرن ينفخ فيه، والذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام فيموت من في السموات والأرض إلا من شاء الله.

وينفخ فيه ثلاث مرات، نفخة الصعق والفناء ونفخة البعث والنشور ونفخة الحشر والتجمع.

وللتوفيق بين قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾. وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾؟

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٨].

قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون، قيل أربعون يوماً قال أبو هريرة: أبيت، قالوا أربعون شهراً، قال أبيت، قالوا أربعون سنة، قال أبيت، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة». صحيح البخاري: ٤٩٣٥.

ولا تعارض بين قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وقولـــه تعـــالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزُّمَر: ٦٨]. وبين بقاء بعض الأشياء دون هلاك:

وللعلماء في هذا أقوال:

معناه أن كل ما سوى الله تعالى محكوم عليه بالهلاك، وبعض العلماء قـصروا عموم ذلك على غير الأمور الـتي وردت الأحاديـث باسـتثنائها كـالروح وعجـب الذنب وأجساد الأنبياء والشهداء والعرش والكرسي والجنة والنار والحـور العـين. جمعها السيوطي في قوله:

ثمانيـــة حكـــم البقـــاء يعمهـــا   من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي نـــار وجنـــة   وعجب وأرواح كذا اللوح والقلـــم

بعضهم مثل ابن عباس: قال تكون الآية من قبيل العام المخصوص.

فالعام: لفظ يستغرق الصالح له بغير الحصر.

والتخصيص: قصر العام على بعض أفراده.

المتأخرون قالوا لا تخصيص بل معنى هالك قابل للهلاك.

البعث

معنى البعث : إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية.

ويكون بعد النفخة الثانية. قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٨].

وموقف الطوائف منه

١. **المعتزلة والجهمية:** إن الله يثبت معاد الأبدان فقط.

٢. **الفلاسفة المشركون:** المعاد للنفس الناطقة وأن الأبدان لا تعاد وخالفوا بذلك المسلمين والنصارى واليهود وأن الأنبياء خاطبوا الجمهور بمعاد الأبدان، وإن لم يكن له حقيقة، وذكر بعضهم تناسخ الأرواح.

٣. **إنكار المعادين جميعاً** مثل أهل الكفر من العرب واليونان والهند والترك. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤].

مذهب السلف الصالح إثبات معاد الروح والبدن جميعاً وأن الإنسان إذا مات كانت روحه منعمة أو معذبة، ثم تعاد روحه إلى بدنه عند القيامة.

المعاد

هو إعادة الأجسام بعدما بليت وإحياؤها بإعادة الأرواح إليها وما يتبع ذلك من حشر وحساب وصراط وجزاء.

الأدلة:

قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٩].

س. قضية المعاد من قضايا العقيدة التي لقيت جدلا شديدا في كل عصر ومع كل رسول أنكر أدلة على ذلك؟

ج. ١. قوم صالح: قوله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٤ – ٣٨].

٢. كفار قريش. قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴾ [سبأ: ٧ – ٨].

إبطال مزاعم منكري البعث

دليل التجربة الذاتية

طريقة القرآن في ابطال مزاعم الكافرين بالمعاد «بالتجربة الذاتية»

أولاً تتبع موقف الكافرين به وأبطل مزاعمهم.

١. فمنهم من استبعد المعاد واستعظمه. قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩].

فرد عليهم: قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥٠ - ٥١].

في هذه الآية رد على أسئلتهم بالتفصيل

قالوا: أئذا كنا عظاماً ورفاتاً.

فالجواب: قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم.

قالوا: من يعيدنا.

الجواب: الذي خلقكم أول مرة.

قالوا: متى هو.

الجواب: عسى أن يكون قريباً.

٢. بعض المنكرين حسبوه غير مألوف في السنن الكونية الجارية وغفلوا عما يجري في الحياة من حولهم لإلفها وتكرارها والدليل قوله تعالى:﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فُصِّلَت: ٣٩].

٣. منهم من أنكروه جحوداً وعناداً وقد رد القرآن العظيم عليهم بأنه واقع، في قسم عظيم: قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]. وقال تعالى:﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣].

يقول ابن كثير يقول الله تعالى: ويستخبرونك عن المعاد بعد صيرورة الأجسام تراباً أحق هو قل أي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين وفي هذا تأكيد من وجوه.

- القسم
- دخول إن المؤكدة
- اللام في لحق
- اسمية الجملة

وذلك يدل على أنهم قد بلغوا في الإنكار والتمرد إلى الغاية التي ليس وراءها غاية فتوعدهم ورهبهم وما أنتم بمعجزين.

٤. منهم من زعم أنه لا داعي إليه ولا غاية منه ولا حكمة فيه فيرد عليهم القرآن: قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

ثانيا: سوق البراهين والأدلة ومنها:

١. قصة من طلبوا رؤية الله فأماتهم ثم بعثهم. قال تعالى:﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة: ٥٥- ٥٦].

(فقد أمر الله تعالى موسى أن يأتي في نفر من قومه يعتذرون عن عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلاً وخرج بهم إلى الطور فلما سمعوا كلام الله قالوا ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ فماتوا جميعاً فناشد موسى ربه قال: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك واختيارك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ فلا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ فرد الله إليهم أرواحهم.

٢. قصة القتيل الذي أحياه الله بضربه بجزء من البقرة. قال تعالى:﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢ - ٧٣].

وقد جادلوا موسى في البقرة ولو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم واختار لهم بقرة عند رجل ليس له بقرة غيرها فباعها بملء جلدها ذهباً فذبحوها فضربوه ببعضها فقام فقال من قتلك فقال هذا وأشار إلى ابن أخيه ثم مال ميتاً فلم يعط من ماله شيئاً فلم يورث قاتل بعد، وقد جعل الله ذلك الصنيع له حجة لهم على المعاد وفاصلاً له لما كان بينهم من الخصومة والعناد.

٣. قصة الذين خرجوا فأماتهم الله ثم أحياهم: قال تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وهم أهل قرية استوخموا أرضهم فخرجوا فراراً من الموت فأخذتهم الصيحة فماتوا وفنوا وتمزقوا فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فسأل الله أن يحييهم فأجابه الله إلى طلبه وكان في إحيائهم عبرة ودليلاً قاطعاً على وقوع المعاد.

ثالثا سوق البراهين الدالة عليه

ومن الأمثلة على ذلك

١. من أماته الله مائة عام ثم بعثه. قال تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ

فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

قال المفسرون: الرجل هو العزيز

والقرية بيت المقدس وهذه تجربة حسية واقعية

٢. إبراهيم عليه السلام مع أربعة من الطير. قال تعالى:﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فقد كان إبراهيم عليه السلام كامل الإيمان بقدرة الله ولكنه يريد أن يزداد بصيرة ويقيناً.

دليل الأقيسة

والمقصود به: قياس الإعادة على البدء. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ﴾ [الروم: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨- ٧٩].

فقد جاء أبي بن خلف بعظم بال يفتته بيده ويقول أترى أن الله يحي هذه بعدما رم فقال ﷺ «نعم يبعثك ويدخلك النار فنزلت الآيات السابقة تحمل الأدلة التالية»:

الدليل الأول: ذكره مبدأ خلقه ليدله به على النشأة الثانية.

الدليل الثاني: أخبر أن هذا الجاحد لو ذكر خلقه لما ضرب المثل.

الدليل الثالث: أجيب عن سؤاله ببالغ دليل على ثبوت ما جحد وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ﴾ [يس: ٧٩].

الدليل الرابع: وهو تأكيد المعنى السابق بالإخبار بعموم علمه لجميع الخلق قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

٢- قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠] .

فالذي يخرج الشيء من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه، قادر على إحياء الموتى والمقصود بالشجر الأخضر هو المرخ والعفار الذي يشتعل ويوقد به النار.

٣- قياس الإعادة على خلق السموات والأرض. قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

فقد أخبر سبحانه وتعالى أن الذي أبدع السموات والأرض على حالتهما وعظم شأنهما وضخامة أجسامها وسعتها وعجيب خلقها أقدر على أن يحيى عظاماً قد صارت رميماً فيردها إلى حالتها الأولى.

٤- قياس الإعادة على إحياء الأرض. قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٥- ٦]

فقد جعل الله سبحانه إحياء الأرض بعد موتها نظير إحياء الموتى وإخراج النبات منها نظير إخراجهم من القبور ودل بالنظير على نظيره.

وجعل ذلك دليلاً على خمسة مطالب:-

أحدها: وجود الصانع.

الثاني: أنه يحيي الموتى.

الثالث: عموم قدرته على كل شيء.

الرابع: إتيان الساعة وأنها لا ريب فيها.

الخامس: أنه يخرج الموتى من القبور كما يخرج النبات من الأرض.

دليل العلم والقدرة

إن علم الله الشامل الذي لا يعزب عنه شي، وقدرته التامة التي لا يمتنع عليها شيء يحيطان بالساعة فهي في حساب الله كطرفة عين. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧].

وما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرة الله إلا كنسبة نفس واحدة. قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨]. وإذا ما أراد الله أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

دليل الحكمة والعدل

١. إن حكمة الله تأبى أن يخلق هذا الوجود وهذا الإنسان بدون غاية ولا حكمة. قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥- ١١٦].

فحياة الناس على هذه الأرض ليست سدى ولا فوضى بلا ميزان. قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ [القيامة: ٤٠].

ونزه الله ذاته عن إرادة اللهو. قال تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٧].

وهذه الآية تنفي عن الله عز وجل إرادة اللهو من طرفيها فأولها: لـو حـرف امتناع لامتناع أي امتنع اللهو من لدنه. وآخرها لسنا ممن يفعله لاستحالته في حقنا.

٢. إن عدل الله يأبى أن يمرح فريق من الناس، يستمتع بما لذ وطاب دون تورع عن الحرام والشبهات، وفريق آخر محروم من كل ما ذكر، فالعدل الإلهي يقرر المعاد للجزاء. قال تعالى: ﴿ لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [سبأ: ٤ - ٥].

إنكار البعث كإنكار التوحيد مكابرة وعناداً.

المعاد معلوم بالعقل وأما تفاصيله فيهتدى إليها بالوحي. قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥].

وفي هذه الآية قولان:-

١. أن تعجب من قولهم: ﴿قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فعجب قولهم إذ كيف ينكرون هذا وقد خلقوا من تراب ولم يكونوا شيئاً.

٢. أن تعجب من إشراكهم مع الله غيره وعدم انقيادهم لتوحيده وعبادته وحده لا شريك له فإنكارهم للبعث: ﴿قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥] أعجب. وعلى التقديرين فإنكار المعاد أعجب من الإنسان وهو محض إنكار الرب والكفر به.

س. كيف تعاد الأجسام؟

ج. ١. إن القرآن يخاطب بهذه الغيبيات المؤمنين بوجود الله وإلهيته.

٢. ليس في القرآن خبر واضح يدل على أن المعاد بعد انعدام الأجسام أصلاً أم بعد تفتتها.

٣. ليس للعلم الحديث من مجال، لأن ميدانه التجربة والتحليل والمشاهدة.

٤. في الآيات دليل على أن المعاد يكـون عـن طريـق تجميـع الـذرات مـن التفرق والشتات لا عن طريق إيجادها من العـدم المطلـق ومـن الأدلـة على ذلك:-

قولـــه تعـــالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣- ٤].

فالذي يعاد من الإنسان إلى التجمع إنما هو أجزاؤه الأصلية التي اسـتقبل بهـا الحياة.

٥. الذي عليه السلف أن الأجسام تنقلب من حال إلى حـال فتـستحيل – تتحول- تراباً ثم ينشئها الله نشأة أخرى كما استحال في النشأة الأولى.

٦. يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ابن آدم ومنه يركب). نهاية البداية والنهاية: ١/ ٢٥٤

٧. هذه الذرة هي الأجزاء الأصـلية والباقيـة مـدة العمـر، وهـي المعـادة بإعادة الروح إليها بعد أن تفارقها بالموت، والهيكل والذرة محفوظـة في أطباق الثرى كما تحفظ ذرات الذهب من البلى والانحلال.

ما بعد البعث

الأمور التي تكون بعد المعاد

١. الحشر والسؤال.

٢. الحساب.

٣. الميزان.

٤. الحوض.

٥. الصراط.

٦. الشفاعة.

١- الحشر

١. معناه سوق الناس إلى الموقف.

٢. وردت في القرآن أكثر من ثلاثين مرة .

٣. وردت في القرآن بلفظ المصدر

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

وبلفظ الماضي: قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

وبلفظ المضارع: قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

وبلفظ الأمر: قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ٢٢]

بلفظ المبني لغير الفاعل: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [الفرقان: ٣٤].

٤. الحشر من حقائق الآخرة وهو جمع الناس وسوقهم إلى الموقف يفد المؤمنون ركباناً ويساق الكافرون مشاة عطاشى. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]

٥. ورد الحشر في السنة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «يا أيها الناس أنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى عليه السلام وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، قال فيقال لي إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول سحقاً سحقاً». صحيح البخاري: ٤٦٢٥

وقد ورد في حديث آخر «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنف مشاة وصنف ركبان وصنف على وجوههم». سنن الترمذي: ٣١٤٢

من المسؤول؟ وعن أي شيء يسأل؟ وكيف نوفق بين هذا وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩].

السؤال للناس جميعاً المؤمن والكافر. قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢- ٩٣]

يسأل الرسل والمرسل إليهم. قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

يسأل عن السمع والبصر والفؤاد. قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

تسأل الموءودة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ - ٩].

يسأل الإنسان عن عمره وشبابه وعلمه وماله.

لحديث «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن علمه فيم عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه»

البحر الزخار: ٤/ ٢٦٦ ولا تناقض بين هذا وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] لأن يوم القيامة يوم طويل وفيه مواقف:

موقف يسأل الناس فيه. قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحِجر: ٩٢].

وموقف لا يسأل الناس فيه. قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١].

وموقف لا تتكلم نفس إلا بإذنه. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٣- ١٠٥].

الحساب

هو توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم اعتقاداً أو قولاً أو فعلاً من خير أو شر. أدلته:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥- ٢٦].

وفي الحديث «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدامه ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة» صحيح البخاري: ٦٥٣٩.

والحساب يوم القيامة في حالة واحدة ويعتقد كل واحد من الخلق أن المخاطب هو وحده وقد سئل أمير المؤمنين علي: كيف يحاسب الله الناس كلهم في وقت واحد فقال: كما يرزقكم في آن واحد يسألهم في آن واحد.

س. من المُحاسَب؟

ج. المُحاسَب هي النفس. قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٍ﴾ [ق: ٢١]. لأن النفس هي المكلفة. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ولأن النفس هي التي تكسب الحسنات والسيئات.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ [المدَّثر: ٣٨]. ولأن النفس هي التي تميل

وتعتدل. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠- ٤١].

إحصاء الأعمال وتسجيلها

لا بد من إحصاء الأعمال لأن الهدف الأعظم من المعاد هو المجازاة على أعمال الدنيا خيرا كانت أو شرا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

الذي يسجل بصفة دائمة

١. النوايا: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ﴾ [ق: ١٦]

٢. أقوال: قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

٣. الأعمال: قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].

س. ماذا تفهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

أي تكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم وآثارهم فيها.

١. قال بعض العلماء: آثارهم: أي ما أورثوا من سنة أو ضلال عمل بها الناس من بعدهم.

قال ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده». صحيح مسلم: ١٠١٧.

٢. وقال بعض العلماء: **الآثار:** خطاهم إلى الطاعة أو المعصية. والدليل

«خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد، فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال ﷺ: يا بني سلمة دياركم تكتب لكم أثاركم دياركم تكتب لكم أثاركم». صحيح مسلم: ٦٦٥.

ومعنى إمام مبين: أي أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ.

س: هل هناك صلة بين النوايا والأقوال والأعمال وبين العلم الحديث «الأبعاد الثلاثة»؟

ج: نعم فعلم النفس يقول إن كل ما يخطر على بال الإنسان من خير وشر ينقش في صفحة اللاشعور ولا يتأثر بمضي الزمن بل يبقى محفوظاً وكأنه لم يحدث إلا بالأمس.

وأما الأقوال: فقد أثبت العلم أن الإنسان عندما يحرك لسانه ليتكلم يحرك بالتالي موجات في الهواء كالتي تحدث في الماء الساكن عندما ترمى فيه بقطعة من الحجر، وهذه الموجات تبقى كما هي في الأثير إلى الأبد بعد حدوثها للمرة الأولى، ومن الممكن سماعها مرة أخرى. وهذا ما سبق إليه القرآن.

قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وأما الأفعال: أثبتت التجارب العلمية أن كل شيء حدث في الظلام أو في الليل جامداً أو متحركاً يصدر عنه حرارة بصفة دائمة في كل مكان وفي كل حال، وهذه الحرارة تعكس الأشياء وأبعادها تماماً كالأصوات التي تكون عكساً كاملاً للموجات التي يحركها اللسان وقد تم اختراع آلة دقيقة لتصوير الموجات الحرارية التي تخرج من أي كائن وتستعمل الأشعة تحت الحمراء.

الميزان

الميزان ذو كفتين ولسان وأدلته:

١- والذي يوزن فيه : الأعمال : ويحاسب الله جميع الخلق بقدرته دفعة واحدة : قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦ - ٩].

عن الحسن عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكت قال رسول الله ﷺ «ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند الكتاب حين يقال ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جنهم». مشكاة المصابيح ٥/ ١٧٤.

«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم». صحيح البخاري: ٦٤٠٦.

أما الذي لا يوزن:

١) الكافر الذي لا ذنب له إلا الكفر ولم يعمل حسنة فإنه يقع في النار من غير

حساب ولا ميزان لأنه لا ثواب له ولا حسنة توزن في موازين يوم القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار والدليل : ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، وقال ﷺ في الكافر " لا يزن عند الله جناح بعوضة " .

٢) المؤمن الذي لا سيئة له، وله حسنات كثيرة زائدة على محض الإيمان فهذا يدخل الجنة بغير حساب.

ما عدا الصنف الأول والثاني يحاسبون وتعرض أعمالهم على الموازين.

قال بعض العلماء: إن الكافر لا ثواب له فلا حسنة له توزن في موازين القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار والدليل. قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]. وقال ﷺ في الكافر «لا يزن عند الله جناح بعوضة».

شبهه وردها:

المعتزلة أنكروا الميزان بحجة أن الأعراض يستحيل وزنها وقالوا ما ورد إنه مجاز عن حقارة قدره، ولا يلزم منه عدم الوزن.

والرد: ورد عن ابن عباس أن الله يقلب الأعراض أجساماً فيزنها.

قال بعض العلماء إن العامل يوزن مع عمله ويشهد له حديث «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة قال اقرؤا إن شئتم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾» صحيح البخاري: ٤٧٢٩.

وكذلك بالنسبة لعبد الله بن مسعود قال عنه رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد». مسند الإمام علي: ١٦٣.

الصراط

هو جسر ممدود على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون كل بحسب عمله قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢].

فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح العاصف، وناس كالجواد، وناس زحفاً، وناس يتساقطون في النار، وعلى جوانبه كلاليب لا يعلم عددها إلا الله تخطف بعض الخلائق.

لشدة هوله يقول المؤمنون: رب سلم سلم لحديث (ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم» صحيح البخاري: ٦٥٧٣ ولقول ابن مسعود «على قدر أعمالهم يمرون على الصراط: منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة».

الحوض

س: تحدث عن الحوض؟

ج: ١- لكل رسول حوض يرده الظامئون من أمته.

٢- إن حوض النبي ﷺ أكبرها وأعظمها. لحديث «إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردةً وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردةً». صحيح الترمذي: ٢٤٤٣ ولحديث «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبداً».

وقته:

١- الغزالي والقرطبي: قبل الصراط.

٢- القاضي عياض: بعد الصراط وأن الشرب منه بعد الحساب والنجاة من النار. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه مبتسماً قلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: «لقد نزلت علي آنفاً سورة تقرأ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ثم قال أتدرون ما الكوثر، قلنا الله ورسوله أعلم، قال فإنه نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك» صحيح مسلم: ٤٠٠.

الشفاعة

لغةً: الوسيلة والطلب.

اصطلاحاً: طلب الخير للغير، وقيل السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم.

أنواع الشفاعة

أولاً: في الدنيا وتقسم إلى:

أ- **جائزة:** وهي التي تكون في غير الحدود، قال ﷺ اشفعوا تؤجروا.

ب- **باطلة:** وهي التي تكون في حدود الله، قال ﷺ لأسامة «أتشفع في حد من حدود الله».

ثانياً: في الآخرة وتقسم إلى:

أ- **مثبتة:** وهي التي أثبتها الله تعالى لأهل الإخلاص ولها شرطان:

١. أن يكون الشفيع ممن رضي الله قوله وعمله.

٢. أن يكون قد أذن الله له في تلك الشفاعة والدليل. قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

ب- **منفية:** وهي التي تطلب من غير الله أو بغير إذنه. قال تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

أقسام الشفاعة المثبتة

تقسم إلى ثمانية أقسام:

١- **الشفاعة العظمى:** وهي شفاعته ﷺ لأهل الموقف حتى يقضى بينهم، وهي المقام المحمود الخاص برسول الله ﷺ حين يتراجع الأنبياء جميعاً وذلك حين يشتد على الناس الموقف ويلتمسون الشفاعة في أن يفصل بينهم فيأتون آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى بن مريم وكلهم يقول نفسي نفسي إلى أن ينتهوا إلى محمد ﷺ فيقولون: «أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأنطلق إلى تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى». صحيح البخاري: ٤٧١٢.

٢- **شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها**. لحديث «أنا أول شفيع في الجنة لم يصدق نبي من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد». صحيح مسلم: ١٩٦.

٣- **شفاعته في أقوام من أن يدخلوا الجنة بغير حساب**. لحديث «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب فقال رجل يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: اللهم أجعله منهم، ثم قام آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: سبقك بها عكاشة».

٤ – **شفاعته في أقوام أن ترفع درجاتهم فوق ما يقتضيه ثواب أعمالهم**. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الطور: ٢١].

٥ – **شفاعته في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة**.

٦ – **شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب**. لحديث «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه». صحيح البخاري: ٣٨٨٥.

٧ – **شفاعته في أقوام أمر بهم إلى النار ألا يدخلوها**.

٨ – **شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخلوا النار فيخرجون منها**. لحديث «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». صححه ابن حبان: ٣٠١.

ولحديث «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته: حلت له شفاعتي يوم القيامة». صحيح البخاري: ٤٧١٩

موقف الناس من الشفاعة

هناك نقاط اتفاق ونقاط اختلاف «ذكر ذلك شارح الطحاوية» اتفقوا على ثبوت الشفاعة للطائعين والتائبين لرفع درجاتهم في الجنة واختلفوا في الشفاعة في أهل الكبائر كما يلي:

١) **أهل السنة:** لهم شفاعة لحط سيئاتهم وقت الحساب أو بعد دخول النار.

٢) **المعتزلة:** لا شفاعة للذين لم يتوبوا. لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: ٤٨].

٣) **المشركون والنصارى والمبتدعون:** يجعلون شفاعة من يعظمونه كالشفاعة في الدنيا «محاباة ومحسوبية».

٤) **المعتزلة والخوارج:** أنكروا الشفاعة في أهل الكبائر. وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثر: ٤٨].

وأجاب أهل السنة في هذه الآيات في الكافرين جمعاً بين النصوص.

س: ما هو حال الناس؟

ج: ١- الناس: مؤمن وكافر: والكافر في النار إجماعاً.

٢- والمؤمن: مطيع وعاصٍ: المطيع في الجنة إجماعاً.

٣- العاصي: تائب وغير تائب: التائب في الجنة إجماعاً.

٤- وغير التائب: اختلف فيه:

أ- **أهل السنة:** يقولون متروك لمشيئة الله.

ب- **المعتزلة:** يقولون في منزله بين المنزلتين، مخلد في النار، يعذب عذاب الفساق.

ج- **الخوارج:** يقولون من مرتكب الكبيرة، مخلد في النار، يعذب عذاب الكفار.

حكم الاستشفاع بالرسول وغيره في الدنيا

صيغة الاستشفاع وحكمه وأدلة أهل السنة في القول بالمنع

صيغته: كأن يقول المسلم بحق نبيك أو بحق فلان اغفر لي.

حكمه: محذور من وجهين: «أدلة أهل السنة في القول بالمنع»:

الأول: أنه قسم بغير الله لحديث «من حلف بغير الله فقد أشرك». المستدرك على المجموع: ١/ ٢٨

الثاني: اعتقاد أن لأحد على الله حقاً وهذا محذور لأمور:

١- ليس لأحد حق على الله إلا ما أحقه على نفسه لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

ولحديث «يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده قلت: الله ورسوله أعلم، قال حقه أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله قلت: الله ورسوله أعلم، قال : حقهم عليه ألا يعذبهم». صحيح البخاري: ٧٣٧٣.

٢- هذا الحق أوجبه الله على نفسه بكلماته ووعده الصادق والعبد لا يستحق على الله شيئاً.

٣- حق العباد الواجب بوعده سبحانه هو ألا يعذبهم.

٤- القسم بحق فلان من الاعتداء في الدعاء قال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

٥- الدعاء من أفضل العبادات فيجب أن تكون على السنة والاتباع لا على الهوى والابتداع.

٦- لا يعترض على هذا بما جاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسالك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا» معناه أنك وعدت السائلين بالإجابة وأنا من السائلين فأجب دعائي وهذا بخلاف قوله بحق فلان فإن فلاناً وإن كان له حق على الله بوعده الصادق فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء السائل.

التوسل

معنى الوسيلة

هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، وهي علم على أعلى منزله في الجنة، وهي منزلة رسول الله ﷺ في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، ذكرت في القرآن مرتين قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]. وقال تعالى﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وفي الحديث «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة». صحيح البخاري: ٤٧١٩ وهذا هو المشروع.

وأما قولهم اللهم إنا نتوسل إليك بأنبيائك أو بفلان فأجب دعاءنا. فهذا من المحذور

س: اذكر أنواعه؟

ج: ١- مشروع ٢- غير مشروع

أقسام المشروع

١- التوسل بصفة من صفات الله عز وجل، قال ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: «ما يمنعك أن تقولي إذا أصبحت أو أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين». الترغيب والترهيب ١/ ٣١٣

٢- التوسل بدعاء الحي لأنه يملك الدعاء فهو داخل دائرة الأسباب والمسببات، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن لي وقال: «لا تنسنا يا أخي من دعائك» فقال: كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا». مشكاة المصابيح: ٢/ ٤١٤.

وكان الصحابة في حياته ﷺ يتوسلون بدعائه يطلبون منه أن يدعو لهم وهم يؤمِّنون على دعائه كما في الاستسقاء وغيره.

فلما انتقل عليه الصلاة والسلام إلى جوار ربه قال عمر لما خرجوا إلى الاستسقاء، اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا.

ومعناه: بدعائه وسؤاله.

٣- توسل المسلم بصالح أعماله.

لحديث «بينما ثلاثة نفر ممن كانوا قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فآووا إلى غار، فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض: إنه والله لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه». صحيح البخاري: ٣٤٦٥.

التوسل غير المشروع

١- إذا أريد بالتوسل القسم به.

٢-التوسل بذاته مكروه ومنهي عنه.

٣-لا يستشفع به ﷺ بعد موته ولو كان جائزاً لفعله عمر رضي الله عنه، فجاه النبي ﷺ أعظم من جاه العباس، ولم يأذن عليه الصلاة والسلام أن يذهبوا إلى قبره ليدعو لهم كما كان حياً.

الشبهة الأولى:

كيف ترد على من استدل بجواز التوسل به ﷺ بعد مماته بقوله تعالى﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤].

الرد:

١- اتفق علماء التفسير أن الآية نزلت في حادثة تخاصم يهودي ومنافق فاحتكم المنافق إلى كعب بن الأشرف واحتكم اليهودي إلى النبي ﷺ فلم يرض المنافق.

٢- معنى الآية أن هؤلاء المنافقين الذين تحاكموا إلى الطاغوت إذا تابوا يقبل الله توبتهم.

٣- لو صح زعمه فلماذا لم يذهب الصحابة إلى قبر الرسول ﷺ عند الاستسقاء.

الشبهة الثانية:

قول: أسألك بمعاقد العز من عرشك.

الرد:

أبو حنيفة: قال بكراهته.

ولكن رخص فيه أكثر من واحد لمجيء الأثر به.

قال أبو يوسف معنى بمعقد العز من عرشك: هو الله، وذلك للأثر: أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامة، لذا أجازه.

الشبهة الثالثة:

حديث الأعمى الذي جاء إلى النبي ﷺ فسأله أن يدعو الله أن يرد بصره فأمره أن يتوضأ فيصلي ركعتين ويقول: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد يا نبي الله، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضيها، اللهم فشفعه في، ودعا الله، فرد بصره».

الرد:

١) معنى اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، أي بدعائه كقول عمر رضي الله عنه: كنا نتوسل إليك بنبينا أي بدعائه فلفظ التوجه والتوسل بمعنى واحد.

٢) يا محمد يا نبي الله هذا نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب ومثله قول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

٣) قوله اللهم فشفعه فيَّ: يدل على أن النبي ﷺ شفع فيه وأمره أن يسأل الله قبول شفاعته.

الرؤية

أقوال أهل السنة والجماعة في الرؤية

١- الرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا.

٢- أثبتها الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام وأهل الحديث وطوائف أهل الكلام المنتسبون إلى السنة والجماعة.

٣- أدلتهم من القرآن:

أ- قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]. هذه الآية في نظر العين حقيقة للأسباب التالية:

- إضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله.
- تعديته بأداة «إلى» الصريحة في نظر العين.
- إخلاء الكلام من قرينةٍ تدل على خلاف الحقيقة.
- استعمالات النظر:

إن عُدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

إن عُـدي بغـى معنـاه التفكـر والاعتبـار ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

إن عدي بإلى فمعناه المعاينة بالإبصار ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩].

ب- قوله تعالى ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ [ق: ٣٥]. أي النظر إلى وجه الله عز وجل.

ج- قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦]. الحسنى الجنة، الزيادة النظر إلى وجهه الكريم.

قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ ثم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة». صحيح الجامع: ٥٢١.

د- قوله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] قال الشافعي: لما حجب هؤلاء في السخط كان فيه دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا.

٤- أدلة السنة:

أ-«عن أبي هريرة رضي الله عنه: إن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر فقالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا:لا، قال: فإنكم ترونه كذلك» صحيح البخاري : ٤٥٨١. والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي.

٥- دليل الفطرة والعقل:

أ) إن الفطرة السليمة والعقل الرشيد لا يقبلان أخذ أصول الدين من غير الكتاب والسنة.

ب) وإن الفطرة السليمة والعقل الرشيد لا يقبلان تفسير كتاب الله بغير ما فسره به رسوله ﷺ وأصحابه.

ولحديث «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده في النار». سنن الترمذي: ٢٩٥٠.

ج) سئل أبو بكر رضي الله عنه عن قوله تعالى﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[عبس: ٣١] ما الأب؟ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

رؤية الناس لربهم في المحشر

يرى الناس ربهم وهم في المحشر لقوله تعالى﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]. وهذا القول الراجح، ولحديث: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم». صحيح البخاري: ٦٥٧٣.

وهناك أقوال أخرى منها:

١. لا يراه إلا المؤمنون.

٢. يراه أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار.

٣. يراه مع المؤمنين المنافقون دون بقية الكفار.

الفرق التي نفت الرؤية

هذه الفرق هي: الجهمية والمعتزلة والخوارج والأمامية

أدلتهم:

١. ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ رداً على موسى، فهنا نفي الرؤية بلن التي تفيد تأبيد النفي، وذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة.

٢. ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ نفت إدراك الأبصار له تعالى فانتفت الرؤية.

٣. إن الرؤية تلزمها أن يكون المرئي في جهة، والجهات كلها مخلوقة وإن الله تعالى كان قبل الجهات.

٤. يلزمون من نفى العلو بالذات بنفي الرؤية.

الرد عليهم:

١- في الآية الأولى:

أ- لو كانت الرؤية مستحيلة ما سألها موسى عليه السلام.

ب- لو كانت الرؤية مستحيلة لأنكر الله على موسى سؤاله كما أنكر على نوح نجاة ولده.

ج- لو كانت الرؤية مستحيلة ما كلم الله موسى وناداه وناجاه لأن من جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز.

د- لو كانت الرؤية مستحيلة ما قال ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولقال إني لا أرى ولا يجوز أن تراني. فلن تراني تدل على أنه سبحانه مرئي ولكن موسى لا تحتمل قواه الرؤية في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها فعدم الرؤية في الدنيا لعجز أبصارنا لا لامتناع الرؤية. ولهذا لما تجلى الله للجبل خر موسى صعقاً فلما أفاق قال: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين بأنه لا يراك حي إلا مات ولا يابس إلا تهدهد.

هـ- دعواهم بتأبيد النفي بلن وإن ذلك يدل على النفي في الآخرة فقد قال تعالى في اليهود قال تعالى ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]. وقال في أهل جهنم، قال تعالى ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٧٧]. فهذا يثبت أنها لا تفيد النفي المؤبد.

و- إذا كان الجبل مع صلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار فكيف بالإنسان مع ضعفه.

ز- لو كانت الرؤية مستحيلة ما علقها على استقرار الجبل وهو ممكن وما عُلق على الممكن فهو ممكن.

ح- إذا جاز أن يتجلى الله للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله وأوليائه في دار كرامته.

٢- في الآية الثانية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾

أ- ذكرت الآية بعد قوله تعالى ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ

﴿كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾[الأنعام: ١٠٢] فهذا في سياق المدح، والمدح صفة ثبوتيه، فالمراد إثبات الرؤية ونفي الإدراك.

ب- النفي المحض عدم محض وهذا ليس بكمال فلا يمدح به الله تعالى.

ج- يمدح الله بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً كمدحه بنفي اللغوب والإعياء بعد خلق السموات والأرض، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨] يتضمن هذا النفي كمال قدرته.

د- المنفي في الآية، الإدراك بحيث يحاط به. فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية.

٣- الرد على قولهم الجهات مخلوقة وكان الله قبل الجهات ويلزم أنه كان مستغنياً عن الجهة ثم صار فيها.

أ- إن فسرت الجهة بأنها أمر وجودي فهذا حق لأمور:

- ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق.
- الله فوق سماواته بائن عن مخلوقاته.
- الله ليس في جهة موجودة مخلوقة لأن الجهات الوجودية التي هي داخل محيط العالم حادثة.

ب- إن فسرت الجهة بأنها أمر عدمي فإثبات الجهة على هذا الاعتبار صحيح:

- الله فوق سمواته وليس هناك إلا الله.
- انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع عال عليها.
- الجهات لا نهاية لها وما لا يوجد فيما لا نهاية له فليس بموجود.

فلا محذور من إثبات الجهة العدمية، فقد كان الله ولم يكن شيء قبله.

وبذلك يبطل قولهم: إن الرؤية يلزمها الجهة فإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم، لأن اللازم ثابت وهو الجهة العدمية فثبت الملزوم وهو الرؤية.

كما بطل قولهم: إن المرئي لا بد أن يكون في جهة موجودة؛ لأن سطح العالم مرئي وليس هو في عالم آخر.

الرد على قولهم: ما كان في جهة فهو جسم، فإن أرادوا أن كل مرئي يجب أن يكون ركّبه مُركِّب، أو يكون متفرقاً فتجمّع، أو يكون من الممكن تفريقه فهذا مردود لأن:

١. السموات مرئية مشهودة ونحن لا نعلم أنها كانت متفرقة مجتمعة.

٢. إذا جاز أن يرى ما يقبل التفريق فما لا يقبله أولى بإمكان الرؤية، فالله تعالى أحق بأن تمكن رؤيته من السموات ومن كل قائم بنفسه.

٣. المقتضي للرؤية لا يجوز أن يكون أمراً عدمياً، بل لا يكون إلا وجودياً وكلما كان الوجود أكمل كانت الرؤية أجوز.

طريقة السلف في إثبات الرؤية والصفات والعلو

١- مراعاة المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل.

٢- مراعاة الألفاظ الشرعية فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

٣- من تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة.

٤- من تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه.

٥- من أراد أن يناظر مناظرة شرعية بالعقل الصريح فلا يلتزم لفظاً بدعياً ولا يخالف دليلاً عقلياً ولا شرعياً.

الجنة والنار

اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان لا تفنيان ولا تبيدان.

أدلتهم:

أ- من الكتاب

١) قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وجه الاستدلال: لفظ أعدَّ لا يقال للمعدوم، كذلك الإخبار بلفظ الماضي دليل على وجودهما، وإلا لزم الكذب في خبر الله تعالى.

٢) قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣- ١٥] فقد رأى ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى ليلة الإسراء.

٣) قال تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥]. رأي الأكثرين من أنها جنة الجزاء.

ب- من السنة

١- حديث «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال: هذا

مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة». صحيح البخاري: ١٣٧٩.

٢- لحديث «لما أصيب أخوانكم بأحُد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تمرح في الجنة حيث تشاء». سنن أبي داود: ٢٥٢٠.

٣- حديث «أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت وألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء كالليل المظلم». الترغيب والترهيب ٤/ ٣٣٩.

٤- حديث «نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فإنها قد فضلت بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها». ابن كثير: ٨/ ٤٩٠.

الفرق التي نفت وجود الجنة والنار

١) المعتزلة والجهمية قالوا:

١- إنهما موجودتان في العلم لا في الخارج.

الرد: في وجودهما ترغيب وترهيب، مثل آلات العقوبة والثواب.

٢- لو كانت مخلوقة لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة ويهلك كل من فيها ويموت لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

الرد: المراد بقوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ مما كتب الله عليه الهلاك والفناء والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء وكذا العرش فإنه سقف الجنة.

٣- قال الله تعالى حكاية عن امرأة فرعون ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾

[التحريم: ١١]. ولحديث «لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وإنها قيعان وإن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر». شرح الطحاوية ص: ٤٢٣ ولحديث «من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة» شرح الطحاوية ص: ٤٢٣ فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً ولم يكن لطلب امرأة فرعون ولا لهذا الغراس معنى.

الرد: إن أرادوا أنها معدومة من قبورهم فهذا باطل يرده ما تقدم من الأدلة وأمثالها.

وإن أرادوا أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها وأنه لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخرى فهذا حق لا يمكن رده وبهذا تكون الأدلة التي جاءوا بها حجة عليهم لا لهم.

بقاء الجنة والنار «الأبدية»

جمهور الأئمة من السلف والخلف قالوا لا تفنيان ولا تبيدان.

الأدلة:

أ- القرآن

١- خالدة لا تفنى قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

دائمة لا تزول قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

٢- باقية لا تنقطع قال تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣].

٣- خلود أهل الجنة للتأبيد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢].

٤- اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ [هود: ١٠٧] قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود: ١٠٨].

اختلف السلف في الاستثناء فقيل معناه:

- إلا مدة مكثهم في النار لمن دخلها ثم أخرج منها.
- إلا مدة مقامهم في الموقف والقبور؟
- الاستثناء لإعلامهم أنهم مع خلودهم فهم لا يخرجون عن مشيئة جزمه لهم بالخلود **كقوله تعالى:** ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦] **وقوله تعالى:** ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾ [يونس: ١٦]. فالله سبحانه يخبر عباده أن الأمور كلها بمشيئته ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ب- السنة

١) قال رسول الله ﷺ: «من يدخل الجنة ينعم لا ييأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه». صحيح مسلم: ٢٨٣٦.

٢) قول رسول الله ﷺ «ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا

تبأسوا أبداً فذلك قوله عز وجل ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]». صحيح مسلم: ٢٨٣٧.

أبدية النار:

أ- من القرآن

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٦ - ٣٧]. قال ابن كثير: عذاب دائم مستمر لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها.

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥].

٣- وقال تعالى ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

ب- من السنة

١- قال رسول الله ﷺ «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون». صحيح مسلم: ١٨٥.

٢- دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وهذا

حكم مختص بهم ولو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلة المؤمنين العصاة ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

٣- قال رسول الله ﷺ «يدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه». صحيح مسلم: ٢٨٥٠.

القائلون بفناء النار

الجهمية والمعطلة، وقد كفروا بذلك، قال عبد الله بن الإمام أحمد: كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله يقول سبحانه: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]. وهم يقولون لا يدوم.

يقوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]. وهم يقولون ينفد.

يقوله سبحانه: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]. وهم يقولون لا يبقى أصله.

آراء الجهم واعتقاداته في النار

١- امتناع تسلسل الحوادث في الماضي فلا بد لها من مبدأ وإلا كان العالم أزلياً.

٢- امتناع تسلسل الحوادث في المستقبل فلا بد لها من نهاية وإلا كان العالم أبدياً.

ويعتقد:

١- أن الله تعالى صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً.

٢- أن الله تعالى يمتنع أن يكون لم يزل فاعلاً متكلماً بمشيئته بل ممتنع أن يكون قادراً على ذلك.

الرد عليه:

١- يرى أهل الحق جواز حوادث لا أول لها وحوداث لا آخر لها لأن تسلسل الحوادث في المستقبل أو في الماضي لا يمنع أن يكون الرب هو الأول ليس قبله شيء.

٢- لا يؤدي القول بتسلسل الحوادث في الماضي إلى قدم العالم لأن كل ما سوى الله مفتقر في ذاته إلى الله.

٣- الرب سبحانه لم يزل حياً والفعل من لوازم الحياة. قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٥ - ١٦] وهذا من وجوه.

أ- ساق ذلك في معرض المدح فهو كمال ولا يجوز أن يكون عادماً له في وقت من الأوقات.

ب- كل ما صح أن تتعلق به إرادته تعالى جاز فعله فما أراده فعله وما فعله فقد أراده.

ج- الرب سبحانه لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء ويتكلم إذا شاء.

٤- التسلسل لفظ مجمل لم يرد نفيه في كتاب ولا سنة، وينقسم إلى ثلاثة أنواع:

أ- **واجب:** ما دل عليه الفعل والشرع من دوام أفعال الرب في الأزل والأبد.

ب- **ممتنع:** وجود مؤثرين كل واحد منهم استفاد تأثيره مما قبله لا إلى نهاية.

ج- **جائز:** الفعل ممكن لله وجائز له بموجب أنه سبحانه لم يزل حياً قادراً مريداً.

٥- القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقل به أحد من السلف.

٦- دل القرآن والسنة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعاله لا تنتهي،

قولـــه تعـــالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

منع التسلسل في الماضي والمستقبل

(١) لا فرق بين الماضي والمستقبل فكل منهما أمر بشيء فكل ما يكون مستقبلاً يصير ماضياً وكل ماضٍ فقد كان مستقبلاً.

(٢) من المحال أن يكون الفعل ممتنعاً عليه لذاته ثم ينقلب فيصير ممكناً لذاته من غير تجدد شيء.

(٣) ليس للأزل حد محدود حتى يصير الفعل ممكناً عند ذلك الحد.

(٤) كيف يعقل لحي قدير عليم مريد ليس له مانع ولا قاهر يقهره أن يستحيل عليه شيء البتة.

الاختلاف في أبدية النار

رأي العلماء في أبدية النار

١- المعتزلة: النار باقية وكل من دخلها لا يخرج منها أصلاً.

٢- ابن عربي الطائي: أهل النار يعذبون فيها مرة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم.

٣- قالت اليهود: يعذب أهلها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم آخرون قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا

تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠ - ٨١].

٤- قال آخرون: يخرج كل من فيها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب. كل ما ذكر من الأقوال السابقة مخالف للنصوص.

القضاء والقدر

ذكر القضاء والقدر أكثر من عشر مرات في القرآن الكريم ويدل ذلك على أن:

١- أحداث الكون والحياة كلها بتقدير الله العزيز العليم قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]. وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: ١٨].

٢- أن الله أحاط علمه بكل شيء فلا يخرج من علمه شيء سواء استتر في الأعماق أو ظهر في الآفاق وكل ذلك مسجل في كتاب غيبي عنده لا يعلم حقيقته إلا الله. قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

«معنى القدر»

مصدر قدر: يقدِّر قَدَراً وقَدْراً.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

القدر: «شرعاً» هو الخطة الربانية كما علم الله وأراد. وهو جعل الشيء على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة.

القضاء

هو إبراز الكائن إلى الوجود، والقضاء مشترك بين عدة معان منها:

١. **الخلق** قال تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت: ١٢].

٢. **الأمر** قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

٣. **الإرادة** قال تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾.

٤. **حَكَمَ** قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾.

والقضاء والقدر معناهما: علم الله وإرادته كما يظهران على صفحة الحياة اليومية للبشر.

أقوال العلماء في القدر

١- الإمام أحمد: القدر قدرة الله.

٢- ابن قيم الجوزية حقيقة القدر الذي حار الورى في شأنه هو قدرة الرحمن.

حكم الإيمان بالقدر

١- يجب الإيمان به وهو جزء متمم للإيمان بالله وعنصر من حقيقة الإيمان المشرقة.

٢- الأدلة:

أ- لحديث، كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

والقدر خيره وشره». صحيح مسلم: ٩.

ب- لحديث «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات يقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل الجنة» وزاد البخاري «إنما الأعمال بخواتيمها». صحيح مسلم.

ج- لحديث «إن أول ما خلق الله القلم، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى الأبد» صحيح الترمذي: ٣٣١٩ ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

د- قال ابن عباس رضي الله عنهما «من وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقص توحيده».

هـ- قال علي رضي الله عنه «القدر طريق مظلم فلا تسلكوه، وبحر عظيم فلا تلجوه، وسر الله فلا تتكلفوه».

و- قال الحسن بن علي رضي الله عنهما «من لم يؤمن بقضاء الله وقدره فقد كفر، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر».

الحقائق المستفادة من النصوص

١- علم الله المحيط الشامل لأعمال العباد وجميع أحوالهم قبل خلقهم.

قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

٢- كتابة مقادير الخلائق قبل خلقهم بخمسين ألف سنة. قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[التوبة: ٥١].

٣- مشيئة الله النافذة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

٤- قدرة الله الشاملة فهو سبحانه القائم بتدبير عباده، له الخلق والرزق والقبض والبسط. قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

٥- عدل الله وحكمته حيث كتب على العبد أزلاً السعادة والشقاوة، وكتب أنه يعمل بالأسباب التي تسعده أو تشقيه لتتم السعادة والشقاوة على نظام الأسباب مع ملاحظة أن الاعتداد بالأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب قدح في الشرع. قال تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

موقف الطوائف من القدر:

١- المجوسية ويقسمون إلى:

أ- **القدرية:** وهم غلاة ينكرون العلم والكتابة.

ب- **المعتزلة:** ينكرون عموم مشيئة الله وقدرته. وقد وافقهم فرق من الشيعة ومنشأ ضلالهم أنهم قالوا: ليست المعاصي محبوبة ولا مرضية لله فليست مقدرة ولا مقضية فهي خارجة عن مشيئته وخلقه.

٢- **الجبرية:** اعترفوا بالقضاء والقدر ولكنهم زعموا أن ذلك لا يوافق الأمر والنهي، واحتجوا بالقدر كما قال المشركون. قال تعالى: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزُّخرُف: ٢٠].

منشأ ضلالتهم:

أنهم سووا بين المشيئة والرضا، وقالوا: كل شيء يتم في الكون فهو بقضائه وقدره وهو محبوب ومرضي.

ونرد عليهم:

بأن هذا باطل، فقد دل الشرع على الفرق بين المشيئة والمحبة والرضا. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وقال ﷺ: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال». صحيح البخاري: ١٤٧٧.

ويعتبر الجبرية من أعمى الخلق بصيرة؛ لأن معنى الطاعة هي موافقة الأمر الديني الشرعي **لا** موافقة القدر والمشيئة، ولو كان موافقة القدر طاعة لكان إبليس من أعظم المطيعين ولكانت الأقوام المهلكة مطيعين.

٣- **الملاحدة:** أقروا بالأمر والنهي والقضاء والقدر لكنهم طعنوا في حكمة الرب وعدله، وجعلوا الجمع بينهما تناقضاً من الرب، تعالى الله عن ذلك.

زعيمهم إبليس الذي قال: «سلمت أن الباري تعالى إلهي وإله الخلق عالم قادر مهما أراد شيئاً قال له كن فيكون وهو حكيم لكن قد علم قبل خلقي أي شيء يصدر عني فلم خلقني أولاً؟ وما الحكمة في خلقه إياي؟ وإذا خلقني بإرادته فلم كلفني بطاعته؟ وما الحكمة في التكليف وهو لا ينتفع بطاعة ولا تضره معصية».

وفي هذا التساؤل إبطال لإلهية الله عز وجل وعدم صدق وإخلاص منه لأن الله لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

اختلاف الناس في مسألة أفعال العباد

الذين اختلفوا في مسألة أفعال العباد هم:

١- الجبرية. ٢- القدرية. ٣- أهل السنة.

مذهب الجبرية وأدلتهم والرد عليهم

١- مذهبهم:

أ- غالوا في إثبات القدر ونفوا أفعال العباد وقالوا لا علاقة للإنسان بطوله ولونه ولم يفرقوا بين الأفعال الإرادية وغير الإرادية.

٢- أدلتهم:

قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

وقوله ﷺ: «لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته». الفتح الرباني: ١١/ ٤٥٤٣.

وجه الاستدلال:

قالوا أثبت الله الرمي لنفسه ونفاه عن النبي ﷺ، فدل ذلك على أنه لا فعل للنبي ﷺ إنما الفعل لله عز وجل.

وقالوا: نفى النبي ﷺ دخول الجنة عن كل أحد بسبب عمله لأن العمل لله وحده ونسبة العمل للإنسان مجاز.

الرد عليهم:

الآية حجة عليهم فقد أثبت الله لرسوله ﷺ رمياً بقوله تعالى: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ ونفى عنه رمياً بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾.

ونعلم أن المثبت غير المنفي وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء فابتداؤه هو المثبت للرسول ﷺ. وانتهاؤه هو الإصابة وهذا هو المنفي عن الرسول ﷺ.

لا دليل لهم في الحديث لأن الباء باء العوض والمقابلة، فهو ينفي أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل الجنة كما يقال: اشتريت هذا بهذا فليس العمل عوضاً كافياً في دخول الجنة، بل لا بد معه من فضل الله عز وجل.

حكم مذهب الجبرية

مذهب هدام مدمر غايته:

١- أن أفعال العباد إنما هي أفعال الله أجراها على يد العبد.

٢- أن الإنسان لا يؤاخذ على ما يرتكب من المعاصي لأنه لا دخل له في صنعها فهو يؤديها طاعة لله.

٣- الدعوة إلى التخلف والسلبية والكسل، قال قائلهم:

جرى قلم القضاء بما يكون ... فسيان التحرك والسكون

جنون منك أن تسعى لرزق ... ويرزق في غيابته الجنين

القدرية

مذهبهم:

أ- نفوا القدر فجعلوا للعبد قدرة مستقلة بإيجاد الفعل من غير توقف على مشيئة الله.

ب- لا تجوز نسبة أفعال العباد إلى الله بما فيها من شر وقبح فهم ينزهون الله عنها.

أدلتهم:

قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. وقوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

وجه الاستدلال:

زعموا في الآية الأولى أن المراد بالخلق الإيجاد فالله موجود والإنسان كذلك.

الآية الثانية الجزاء مرتب على الأعمال ترتيب العوض، وأن العامل يستحق دخول الجنة على ربه بعمله.

الرد عليهم:

بالنسبة للآية الأولى فمعناها: أحسن المقدرين فالخلق بمعنى التقدير.

بالنسبة للآية الثانية: الباء فيها وفي أمثالها باء السببية أي بسبب أعمالهم والله سبحانه خالق الأسباب والمسببات.

وقد قال المعتزلة: إن الجزاء من الله لعباده على سبيل المعاوضة والمقابلة كالمعاوضات التي تكون بين الناس في الدنيا.

ونرد عليهم:

٢- إن الله تعالى ليس محتاجاً إلى عمل العباد. لحديث: يا عبادي «إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني» والعبد يعمل لنفسه. قال تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾ [فُصِّلَت: ٤٦].

٣- إن الله تعالى هو الذي منّ على العبد بالخلق والحياة والرزق والتيسير وتحبيب الإيمان وتزيينه في قلبه فكيف يكون للعبد على الله عوض.

٤- مهما بلغ عمل العبد فلن يكون ثواب الله مقابلاً له ومعادلاً حتى يكون عوضاً بل أقل أجزاء الثواب يستوجب أضعاف ذلك العمل.

٥- نعم الله على العبد في دنياه تستحق أضعاف ذلك العمل، إذا طلبت المعادلة والمقابلة فماذا يبقى بعد ذلك لثواب الآخرة.

٦- إن العبد يقع في التقصير فيلم بالخطايا، ولولا عفو الله عن السيئات وتقبله أحسن العمل ما كان له من ثواب لقوله ﷺ «من نوقش الحساب عذب».

فلو ناقش الله العبد على عمله لما استحق به الجزاء. قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٦].

أهل السنة

أ- وسط بين الجبرية والقدرية، فلا إفراط ولا تفريط، فكل دليل صحيح استدل به الجبرية يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة وأنه مريد مختار.

ب- إذا جمعنا مع ما الجبرية من الحق إلى ما مع القدرية من حق فإنما يدل على عقيدة أهل السنة من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم عليها يُمدحون ويُذمون وبذلك يصدق القرآن بعضه بعضاً.

أدلتهم:

١) قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي خالق كل شيء مخلوق فدخلت فيه أفعال العباد.

٢) قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] يدخل في عمومها سائر المخلوقات «ما» ليست مصدرية لأن إبراهيم أنكر عليهم المنحوت لا النحت قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ﴾[الصافات: ٩٥] فالآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى وهو ما صار منحوتاً إلا بفعلهم.

٣) لا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله وكون هذه الأحداث وجدت بمشيئة الله تعالى كما قال تعالى:﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

فألهمها: إثبات للقدر.

فجورها وتقواها: إثبات لفعل العبد.

زكاها ودساها: إثبات لفعل العبد.

٤) قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩] في هذه الآية رد على الجبرية القائلين بأن العبد لا مشيئة له أو له مشيئة مجرد علامة على حصول الفعل لا ارتباط بينها وبينه إلا مجرد اقتران عادي من غير أن يكون سبباً فيه، وآخر الآية رد على القدرية القائلين باستقلال مشيئة العبد.

٥) مناط التكليف أن يكون العبد عاقلاً مريداً قادراً. فالمجنون والمكره والعاجز لا مسئولية عليهم لحديث «رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق» ولقوله قال ﷺ «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». ولقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: ٩١].

القدرة التي تكون للعبد:

أقوال العلماء في القدرة التي تكون للعبد

ج: ١- فريق أثبتها. ٢- فريق نفاها.

المثبتون للقدرة حزبان:

٢- الأول قال: لا تكون القدرة إلا مع الفعل، ظناً أنها نوع واحد لا يصلح للضدين، وأنها عرض لا تبقى زمانين فيمتنع وجودها قبل الفعل – وهذا رأي الأشاعرة ومن وافقهم.

٣- الثاني قال: القدرة نوعان:

أ. قدرة قبل الفعل وهي قدرة الصحة والتمكن وبسلامة الآلات يمكن معها الفعل والترك وهي الشرعية مناط الأمر والنهي والثواب والعقاب وتحصل للمطيع والعاصي على السواء.

دليلها:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[آل عمران: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]. فالمراد نفي استطاعة الأسباب والآلات.

قال في المنافقين الذين امتنعوا عن الخروج في غزوة تبوك: قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[التوبة: ٤٢]. فلما أرادوا الاعتذار عن الخروج بسبب المرض أو فقد المال كذبهم الله.

المعتبر بالاستطاعة القدرة الشرعية، وهي أخص من الاستطاعة التي يمتنع الفعل مع عدمها، لأن الشارع لا ينظر إلى مجرد إمكان الفعل بل ينظر إلى الإمكان مع عدم المفسدة الراجحة فمن قدر على الحج مع ضرر يلحقه في بدنه أو ماله.. فإن الشارع لا يعتبره قادراً شرعاً لوجود المفسدة الراجحة.

فكل أمر علق في الكتاب والسنة وجوبه بالاستطاعة وعدمه بعدمها، فالمراد استطاعة الصحة وسلامة الآلات، لكن هذه القدرة مع بقائها إلى حين الفعل لا تكفي في وجود الفعل، ولو كانت كافية لكان التارك كالفاعل، ولذا كان لا بد من قدرة أخرى.

ب. قدرة مع الفعل تقترن به كجعل الفاعل مريداً، فإن الفعل لا يتم إلا بقدرة وإرادة وهي الكونية التي هي مناط القضاء والقدر قال تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢].

فكلمات ربها: قدرة .   وكتبه: شرعُه.

بخلاف القدرة المشروطة في التكاليف فإنه لا يشترك فيها الإرادة مثل قول صاحب موسى، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧].

المراد نفي حقيقة الصبر لا أسباب الصبر وآلاته فإنها ثابتة، ذلك لأنه عاتبه، والعتاب واللوم لا يكون مع عدم الآلات وإنما يكون من تضييع قدرة الفعل لاشتغاله بغير ما أمر به أو لعدم شغله إياها بفعل ما أمر به.

النافون للقدرة

يقول القدرية والمعتزلة والشيعة:

لا تكون القدرة إلا قبل الفعل فهي صالحة للضدين، ولا تقارن الفعل أبداً، لأن المؤثر لا بد أن يتقدم على الأثر لا يقارنه، وبنوا هذا على أصل فاسد وهو: أن فاعل الطاعات وتاركها في الإعانة الإلهية سواء، مثل الوالد الذي أعطى كل واحد من بنيه سيفاً فهذا رجح جانب الطاعة فجاهد به، وهذا رجح جانب المعصية فقطع به الطريق.

الرد عليهم:

١- ما ذكروه مكابرة للعقل، لأن العقل لا يقبل أن يكون شيء بلا مرجح فلا بد من قدرة مقارنة للفعل ولا بد من إعانة الله للعبد.

٢- قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجُرات: ٧]. قال القدرية: هذا التحبب والتزيين عام في كل الخلق وهو بمعنى البيان.

قال أهل السنة: سياق الآية يقتضي أن هذا التحبب والتزيين خاص بالمؤمنين بدليل تذييلها، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجُرات: ٧]. والكفار ليسوا راشدين فلا تشملهم الآية.

٣- اتفق أهل السنة أن الله خص عبده المطيع بإعانتة على الطاعة وهي التوفيق ولم يعن بها الكافر.

٤- وجود الأمر مع عدم بعض شروطه الوجودية – وهو القدرة المقارنة- فلا

بد مع الفعل من قدرة.

٥- الإنسان عند أهل السنة مسير ومخير، الطول واللون وضربات القلب ونبضات العروق مسير فيها وما جرى عليه كالمصائب التي لا حيلة له فيها ولا قوة له في دفعها هو فيها مسير لقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]. ما جرى من الإنسان من خير أو شر أو طاعة أو معصية هو فيها مخير، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج: ١٨].

يستفاد من هذه الآية أن الموجودات نوعان:

١) أحدهما مسخر بطبعه هداه الله لما سخره له طبيعةً.

٢) والثاني متحرك بإرادته هداه الله هداية إرادية تابعة لشعوره وعلمه بما ينفعه ويضره، فالإنسان فاعل لأعماله الاختيارية حقيقة.

موقف الأشاعرة والماتريدية

١- نفوا أن تكون للإنسان قدرة فاعلة حقيقية. فقالوا: ليس للعبد قدرة مؤثرة، لكن له كسب لأفعاله استحق عليه الثواب والعقاب.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

فسروا الكسب بأنه الاقتران العادي بين القدرة الحادثة والفعل، واستدلوا بأن الله خالق كل شيء.

قال ابن رشد: ما قاله الأشعري يتفق مع قول الجبرية وإن اختلفت الألفاظ وترتيبهم الإشراك بالله على الاختيار غير سديد.

الماتريدية: قالوا للإنسان استطاعة على العمل الذي يريده، وهذه الاستطاعة الاختيارية هي مناط الثواب والعقاب منهم وإن تخلصوا من الوقوع فيما وقع فيه الأشاعرة لكنهم لم يعترفوا بقدرة العبد ونسبة الفعل إليه.

قال ابن تيمية: جمهور أهل السنة وقول كثير من أصحاب الأشعري وإمام الحرمين **قالوا:** إن العبد فاعل لفعله حقيقةً، وله قدرة واختيار، وقدرته مؤثرة في مقدورها، كما تؤثر القوى والطبائع والأسباب، ودل على ذلك الشرع والعقل.

قال تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. لم يقل فأحيا عنده، فدل ذلك على بطلان قولهم: إن فعل العبد يوجد عندها.

الحكمة من خلق إبليس

١- إظهار قدرة الله على خلق المتضادات وذلك كما يلي:

أ- خلق إبليس في مقابله ذات جبريل.

ب- خلق الليل والنهار، والداء والدواء.

ج- خلق الموت والحياة والحسن والقبح.

فخلو الموجود منها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه.

٢- ظهور آثار أسمائه القهرية مثل القهار والمنتقم والجبار فهذه أسماء كمال

لابد من وجود متعلقها، ولو كان الإنس والجن على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر الأسماء. لحديث «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم».

٣- ظهور آثار أسمائه الرحيمة مثل الثواب والغفار والرحمن.

٤- ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإنه الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها.

٥- حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت ومنها:

أ- عبودية الجهاد.

ب- عبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ج- عبودية الصبر ومخالفة الهوى.

د- عبودية التوبة والاستغفار.

هـ- عبودية الاستعاذة بالله.

فإن قيل: هل كان يمكن وجود تلك الحكم بدون هذه الأسباب؟

فهذا سؤال فاسد

احتجاج أهل المعاصي بالقدر

١- يزعمون أن الله مطلع على شركهم وذنوبهم وهو قادر على تغييرها ولم يغيرها فدل ذلك على أنه بمشيئته ورضاه.

٢- فهموا من احتجاج آدم وموسى عليهما السلام أنه لا فعل لعبد.

الحكم عليهم: من ظن أن القدر حجة لأهل الذنوب فهو من جنس المشركين الذين يقولون قال تعالى:﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

احتجاج أهل المعاصى بالمشيئة والرد عليهم:

رد الله عليهم استدلالهم بالمشيئة فقال:

أ- قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ فلو كانت حجتهم صحيحة ما أذاقهم الله بأسه ودمر عليهم.

ب- قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ﴾ أي هل عندكم دليل تظهرونه بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه.

جـ- قال تعالى: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي أنكم واقعون في اعتقاد فاسد.

د- قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ أي وإنكم تكذبون على الله فيما تدعون.

هـ- قال تعالى: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾ أي له الحكمة التامة في هداية من هدى وإضلال من ضل.

و- قال تعالى: ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ أي كان بقدرته ومشيئته.

فلو كان القدر حجة لهم:

أ- ما عذب الله المكذبين للرسل كقوم نوح وعاد.

ب- ما أمر الله بإقامة الحدود على المعتدين.

فمن رأى القدر حجة للمذنبين:

أ- عليه ألا يذم أحداً ولا يعاتبه إذا اعتدي عليه.

ب- عليه أن يسوي بين ما يوجب اللذة وما يوجب الألم.

ج- عليه أن لا يفرق بين من يفعل معه خيراً ومن يفعل معه شراً.

د- وهذا ممتنع:

أ- **طبعاً:** فالفطرة تفرق بين اللذة والألم.

ب- **عقلاً:** فالعقل يميز بين الإحسان والإساءة.

ج- **شرعاً:** فالشرع يقول ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥].

إبطال حجتهم بما وقع بين آدم وموسى عليهما السلام لحديث «احتج آدم وموسى، قال موسى: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته أخرجتنا ونفسك من الجنة، فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وكتب لك التوراة بيده فبكَم وجدت مكتوباً عليَّ قبل أن أخلق؟ ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]. قال: بأربعين سنة قال فلم تلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة، قال فحج آدم موسى».

موقف الطوائف من هذا الحديث

أ- طائفة فهمت منه أنه يرفع اللوم والعقوبة عن العاصي فكذبوه وأنكروه.

ب- طائفة فهمت منه أنه لا فعل للعبد وأن القدر كل شيء فاحتجوا به.

ج- أهل السنة قالوا:

- لم يلم موسى عليه السلام آدم على الأكل من الشجرة، فذلك ذنب تاب منه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.
- يلوم موسى عليه السلام آدم على المصيبة التي لحقتهم وهو الخروج من الجنة.

- لو كان آدم يعلم أن الملام يُرفع عن المذنب من أجل القدر لم يقل ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

واجب المؤمن

١- الصبر والتسليم عند المصائب.

٢- الاستغفار والتوبة عند المصائب.

لقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]. ولقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]. قال ابن مسعود رضي الله عنه: هو الرجل تصيبه المصيبة يعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد أن بينا أركان العقيدة الإسلامية حسب ما وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفهم السلف الصالح من أهل السنة والجماعة، نستطيع أن نستخلص أن هذه العقيدة تنشئ الإنسان الصالح العابد لله بالمعنى الواسع الشامل للعبادة الذي يراعى حدود الله ويلتزم بأوامره ويتحرر من كل عبودية إلا من عبوديته لله، ويتوازن في سلوكه وفي شعوره، يعمر الأرض وهو يتطلع إلى رضوان الله، فإذا تشبع المسلم بالعقيدة على الصورة التي ذكرنا فإنه يبذل من الجهد ويأتي بالأعمال ما لا يستطيعه الإنسان العادي الخاوى من هذه العقيدة، فهو يعمل بكامل طاقته ويؤدى مهمته على الوجه الأكمل لأن هذه العقيدة تشمل العمل للدنيا والعمل للآخرة في نفس الوقت ولا تفصل بينهما، فلا يوجد في ديننا عمل هو للدنيا وحدها وعمل هو للآخرة وحدها فحياتنا كلها لله وبذلك تشمل حركة جسم الإنسان وتفكر عقله، وانطلاقة روحه فلا ينفصل بعضها عن بعض، وتشمل الفرد والجماعة والأمة والدولة على معايير الإيمان بالله وتقواه والالتزام بما أنزل، فكلنا يلتقي على أسس واحدة وعلى تربية ذات اتجاه موحد، ومن ثم تتوحد الأمة وتتلقى مع الدولة على أمر واحد هو عبادة الله والحكم بما أنزل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذلك تنتظم علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بالآخرين، وبذلك تتوازن جوانب الحياة المختلفة على محور العقيدة الرئيسى الذي لا يطغى فيه جانب على جانب وبذلك نكون خير أمة أخرجت للناس تطبق العدل الرباني في واقع الأرض مما لا مثيل له في تاريخ الشعوب وخاصة بين المسلمين وغيرهم وبين الفاتحين والبلاد المفتوحة، وتنشر التسامح الديني مع أهل الكتاب في ظل الحكم الإسلامي وتحافظ على

الأخلاق في المجتمع، وتدفع المسلم إلى النشاط الحركي الفذ الذي نشر الدين واللغة في أرجاء المعمورة في زمن قصير، فامتـدت الحركـة الحـضارية الإسـلامية في جميـع نواحي الحياة، فكانت الحضارة الروحية المادية في ذات الوقت والتي لا تفـصل بـين مطالب الروح ومتطلبات الجسد ولا تفصل بين الدنيا من الآخرة.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- الأجرى: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله:

أخلاق العلماء – الرياض، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٣٩٨ – ١٩٧٨م.

٣- ابن الجوزى: (جمال الدين أبي الفرح عبد الرحمن – ٥٩٧):

صيد الخاطر، تحقيق السيد محمد سيد، سيد إبراهيم، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٤- ابن الجوزية: (أبو الفرج عبد الرحمن):

الوفا بأحوال المصطفى، ط١، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٣٨٦هـ

٥- ابن الحديد:

شرح نهج البلاغة: تحقيق حسن تميم، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٣م.

٦- ابن القيم الجوزية:

زاد المعاد في هدى خير العباد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ

٧- ابن تيمية (أحمد بن تيمية)

الفتاوى الكبرى، مطابع الرياض، الرياض، ١٣٨٢هـ.

٨- ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني):

فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت.

٩- ابن حجر: (أحمد بن علي):

الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠- ابن حنبل: (أحمد بن محمد):

المسند، تحقيق أحمد شاكر، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٠.

١١- ابن خزيمة: (أبو بكر حسن بن اسحق)

صحيح ابن خزيمة، ط٢، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، ١٤٠١هـ.

١٢- ابن دقيق العبد:

شرح الأربعين النووية، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، جدة.

١٣- ابن رجب: (زيد الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين):

جامع العلم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية.

١٤- ابن زكريا: (أبي الحسين أحمد بن فارس):

معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ط١، دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٦هـ

١٥- ابن عبد البر:

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر.

١٦- ابن قدامة المقدسي:

مختصر منهاج القاصدين، مؤسسة علوم القرآن للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٧- ابن قيم الجوزية: (شمس الدين أبي عبد الله بن بكر بن أيوب):

مفتاح دار السعادة، ط٣، مكتبة حميدو الإسكندرية، ١٣٩٩هـ.

١٨- ابن كثير

البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط١، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م).

١٩- ابن ماجه: (أبو عبد الله محمد بن زيد):

سنن ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي، مصر ١٣٩٥هـ.

٢٠- ابن منظور: (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم):

لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٢١- ابن نجم: (ناصح الدين عبد الرحمن) (٥٤٤ - ٦٣٤هـ):

كتاب استخراج الجدل من القرآن، تحقيق زاهرية عواض الألمعي، ط١، ١٤٠١هـ.

٢٢- ابن هشام:

السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

٢٣- مسند أبي داود، دار الجيل، بيروت.

٢٤- البخاري: (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل):

الأدب المفرد

٢٥- البخاري: (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل):

صحيح البخاري، ط٥، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٢٦- البروسوى: (إسماعيل حقي البروسوى):

تنوير الأذهان، ط١، تحقيق محمد على الصابوني، دمشق، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٧- النبوي: (الحسين بن مسعود):

شرح السنة، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٢٨- البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين):

السنن الكبرى، ط١، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، الهند، ١٣٥٤هـ.

٢٩- الترمذي: (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة):

سنن الترمذى، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة الباني، مصر، ١٣٩٧هـ.

٣٠- الجرجاني: على بن محمد بن علي السيد الزين):

التعريفات، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٧هـ.

٣١- الجوهري: (إسماعيل بن حماد):

الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، بيروت، ١٣٩٨هـ ١٩٧٩م.

٣٢- الحاكم: (ابن عبد الله الحاكم النيسانوري):

المستدرك، دار المعرفة، بيروت.

٣٣- الدار قطني: (الإمام الكبير علي بن عمر الدار قطني):

سنن الدارقطني، دار المحاسن للطباعة، مصر، ١٣٨٦هـ.

٣٤- الدارمي: (أبو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن):

سنن الدارمي، مطبعة الاعتدال، دمشق، ١٣٤٩هـ.

٣٥- الرازي: (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر):

مختار الصحاح، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٦- الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني):

تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، مراجعة عبد الستار أحمد فرج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٢هـ.

٣٧- الزرقاني: (أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف):

شرح موطأ الإمام مالك، ط١، البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٢هـ.

٣٨- الزمخشري: (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر):

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل من وجه التأويل، تحقيق محمد الصادق قمحاوى، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٢هـ - ١٧٢م.

٣٩- الشاطبي:

الاعتصام، دار المعرفة، بيروت.

٤٠- الشافعي: (محمد بن إدريس):

الرسالة.

٤١- الشوكاني: (محمد بن علي بن محمد):

فتح القدير، دار المعرفة، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٢- الطبراني: (أبو القاسم سليمان بن أحمد):

المعجم الكبير، الدار العربية للطباعة، بغداد.

٤٣- الطبراني:

المعجم الصغير.

٤٤- الطبرى، (أبي جعفر محمد بن جرير):

الجامع لأحكام القرآن، ط٣، القاهرة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٩٨هـ - ١٩٦٨م.

٤٥- الغزالي: (أبو حامد محمد بن محمد):

إحياء علوم الدين، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٤٦- الفيروز أبادي: (مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)

القاموس المحيط، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

٤٧- الماوردى: (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب المصر) (ت: ٤٥٠هـ)

أدب الدنيا والدين، ط٤، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٤٨- المباركفورى: (أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم):

تحفة الأحوذى في شرح جامع الترمذي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

٤٩- المروزى: (محمد نصر المروزى):

السنة، مطابع دار الفكر، دمشق.

٥٠- مسلم: (أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابوري):

صحيح مسلم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٥١- المقدسي: (محمد بن مفلح المقدسي):

الآداب الشرعية والمنح المرتمية، الرياض، ١٩٧٧م.

٥٢- المنذري: (الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم):

الترغيب والترهيب، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٨هـ.

٥٣- النووي: (زكريا يحيى بن شرف):

رياض الصالحين، ط٤، دار المأمون للتراث، دمشق.

٥٤- أبو بكر جابر الجزائري:

أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، ط٣: جدة، راسم الدعاية والإعلان.

٥٥- بكر بن عبد الله أبو زيد:

حلية طالب العلم، ط١، الرياض، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٥٦- ربيع بن هادي الداخلي:

منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل، ط٢، المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م.

٥٧- سيد قطب:

في ظلال القرآن - ط٤، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٥٨- على بن محمد ناصر الفقيهى:

منهج القرآن في الدعوة إلى الأديان، ط١، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٥٩- ابن أبي شيبة:

كتاب الإيمان، تحقيق الألباني، ط٢، دار النور للطباعة والنشر، ١٩٨٥م.

٦٠- ابن حنبل: (أحمد)

الرد على الزنادقة والجهمية، تحقيق على النشار وعماد الطالبي، نشر منشأه المعارف بالأسكندرية، سنة ١٩٧١م.

٦١- ابن منده (محمد بن إسحق)

الإيمان، تحقيق على الفقيهى، ط١، ١٤٠١هـ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٦٢- البوطى: (محمد سعيد)

كبرى اليقينيات الكونية، ط٨، دار الفكر، ١٤٠١هـ.

٦٣- حوى: (سعيد)

الإسلام، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٩م.

٦٤- الخطيب: (محمد نمر):

في العقيدة الإسلامية، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٢هـ.

٦٥- سابق: (سيد)

العقائد الإسلامية، ط٣، القاهرة، مطبعة حسان، ١٣٩٦هـ، دار القلم، دمشق، ومكتبة طيبة بالمدينة المنورة، سنة ١٤٠٣هـ.

٦٦- عبده: (محمد)

رسالة التوحيد، مكتبة الجامعة الأزهرية، ١٣٨٥هـ.

٦٧- ياسين (د. محمد نعيم):

الإيمان، مكتبة الأقصى، عمان، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٦٨- الجزائري: (أبو بكر):

عقيدة المؤمن، ط١، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٧م؟

٦٩- الجويني: (أبو المعالي عبد الملك):

الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ط١ (تحقيق أسعد تيم)، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م.

٧٠- الحكمى: (حافظ بن أحمد):

معارج القول، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٦٦هـ.

٧١- الحنفي: (ابن أبي العز):

شرح العقيدة الطحاوية، ط٣، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، دمشق وبيروت، المكتب الإسلامي، دار العلم، ١٩٧٧م.

٧٢- الرازي: (فخر الدين محمد بن عمر الخطيب):

شرح أسماء الله الحسنى، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٦م.

٧٣- الطنطاوي: (على):

تعريف عام بدين الإسلام، ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م.

٧٤- الكردي: (راجح عبد الحميد، وآخرون):

العقيدة الإسلامية، ط، عمان، مركز التأهيل، وزارة الأوقاف، ١٩٩١م.

٧٥- ابن الجوزي: (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن):

تلبيس إبليس، بيروت، دار الكتب العلمية.

٧٦- ابن حزم:

الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة، مكتبة ومطبعة محمد على حبيب وأولاده.

٧٧- حبنكة: (عبد الرحمن):

العقيدة الإسلامية وأسسها، ط٤، دمشق، دار القلم، ١٩٨٦م.

الفهرس